

القدس نبض العظماء وترويدة الفقراء

في هذا الجزء من الدراسة نستلهم المكانة الأدبية للقدس الحبيبة من خلال استحضار الأشعار العربية القديمة والحديثة التي نظمها أصحابها في القدس ولأجل القدس، وتدعو إلى تمجيدها والدفاع عنها، أو تتغنى بقيمتها ومكانتها في قلوب العرب والمسلمين وكان للقاءات الخاصة والتوثيقية حيزاً لا بأس به خصت بها هذه الدراسة.
نبداً هنا بقصيدة:

يا قدس معذرة

أحمد مطر

يا قدسُ معذرةٌ ومثلي ليس يعتذرُ

ما لي يذُّ في ما جرى فالأمرُ ما أمروا

وأنا ضعيفٌ ليس لي أثر

عارٌ عليَّ السمعُ والبصرُ

وأنا بسيف الحرف أنتحر

وأنا اللّهيْبُ.. وقادتي المطر

فمتى سأستعر؟!

لو أن أرباب الحمى حجر

لحملتُ فأساً دونها القدر

هَوجاء لا تبقي ولا تذر

لكنها.. أصنامنا بشر

الغدر منهم خائف حذر

والمكر يشكو الضعف إن مكروا

فالحرِبُ أغنية يجن بلحنها الوتر

والسلم مختصر

ساق على ساق وأقداحٌ يُعرَّشُ فوقها الخدر

وموائدٌ من حولها بقر

.. ويكونُ مؤتمراً

هزي إلك بجذع مؤتمر

يساقط حولك الهذر

عاش اللهيب

.. ويسقط المطر !

يا قدس يا سيدتي .. معذرة

فليس لي يدان

وليس لي أسلحة

وليس لي ميدان

كل الذي أملكه لسان

والنطق يا سيدتي أسعاره باهظة

والموت بالمجان!

إلى آخر نصه، والواضح في هذه المقطوعات بأن الشاعر يشكو استكانة الحكام في ظل هبة شعبية عارمة تود لو تستعر لهيباً في وجه الطغاة فهو اليوم يقدم اعتذاره للقدس

الحبيبة حين لا يملك لها سوى القول والكلمة الهادفة والعبارة الواعية الراصدة لحركة الركود والخنوع في ميادين القيادة ويكرر اعتذاره للقدس شارحا حاله وحالها..

يبدأ الشاعر العراقي أحمد مطر بكائيته بتقديم الاعتذار من المدينة المقدسة ، مؤكداً أنه من الشخصيات التي لا تعتذر ولم تعود نفسها على الاعتذار، وكأنه يعزي القدس في مصابها الجلل، فمن المعروف عن أحمد مطر أنه من الشعراء الذين لا يهابون انتقاد السلطات والحكام والحكومات، فالشاعر يقدم اعتذاره للقدس كنوع جديد من الإشارة إلى التخاذل العربي، أو كانتقاد لاذع للحكام العرب، الذين شغلوا وانشغلوا بشراء الأسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية، ومن غيرها من الدول المصدرة للسلاح؛ من أجل التباهي والتفاخر، وهناك إشارة خفية إلى تبرئة الشعوب من التخاذل عن نصره القدس، فالشعوب العربية سلبت الإرادة، فهي لا تمتلك غير الحرف سلاحاً، هذا الحرف الذي غدا سلاحاً فتاكاً على أعناق من يتحدثوا به.

ثم يشبه الشاعر الحكام والقادة العرب بالمطر الذي يطفئ نار الثورة لنصرة القدس، فلا تستطيع الشعوب أن تثور ثورة قوية إلا بالتخلص من هذا الحاكم الظالم لنفسه ولشعبه، لتكون القدس هي الضحية، فيتساءل الشاعر متى سيستعر، وتشتد حرارة الثورة، ويصبح مطر الحكام عاجزاً عن إخماد هذه النار المستعرة؟

يا قدس معذرة

يا قدسُ معذرةٌ ومثلي ليس يعتذرُ

ما لي يدُّ في ما جرى فالأمرُ ما أمروا

وأنا ضعيفٌ ليس لي أثر

عارٌ عليَّ السمعُ والبصرُ

وأنا بسيف الحرف أنتحر

وأنا اللّهيُّ .. وقادتي المطر

فمتى سأستعر؟!

ويبدأ الشاعر المقطع الثاني من القصيدة بأداة الشرط غير الجازمة (لو) التي أطلق عليها علماء اللغة اسم (أداة امتناع لامتناع) ففي استخدامه لهذه الأداة دلالة رمزية قوية على فساد الأنظمة العربية وتخاذلها، التي وصفها بالحجارة، بل أدنى من الحجارة منزلة، فالحجارة قد تشعر وتستشعر عظم المصيبة في القدس، من سياسة تهويد المدينة، والأخطار التي تهدد المسجد الأقصى بالانهيار جراء الحفر المتواصل تحته، وتدنيس المسجد المبارك على أيدي المستوطنين، لكن الحكام العرب والقادة العرب لا يحركون ساكناً.

لو أن أرباب الحمى حجر

لحملتُ فأساً دونها القدر

هوجاء لا تبقي ولا تذر

ولا يتوقف أحمد مطر عند هذا الحد، بل يواصل في وصفه وانتقاده للحكام العرب، فوصفهم بالأصنام، لكن هذه الأصنام أشد ضرراً من الأصنام الحجرية، فالأصنام الحجرية لا تضر ولا تنفع، أما الأصنام البشرية، التي نسب الحكام العرب إليها، فهي لا

تنفع، لكن هناك أمراً ثانٍ هو أنها شديدة الضرر فهي أشد غدرا من الغدر نفسه حتى أن الغدر أصبح خائفاً من غدرها به.

لكننا .. أصنامنا بشر

الغدر منهم خائف حذر

والمكر يشكو الضعف إن مكروا

فالحرِب أغنية يجن بلحنها الوتر

كما يستهجن أحمد مطر كثرة المؤتمرات والقمم العربية، التي شهدنا أعداد غير قليلة منها، لكنها لم تجلب للقدس نفعا، فهي ليس سوى دعوات لتناول الأطعمة، والتفاخر بالعباءات، فهم بهذه الصفة ليس إلا كالأنعام، تتجمع على الأطعمة، أما ما يتم تقريره في هذه المؤتمرات، فهو ليس سوى شجب واستنكار، وحتى الشجب الاستنكار أصبح نادرا، أو معدوما في الحملات التهويدية الأخيرة على المدينة المقدسة .

والسلم مختصر

ساق على ساق

وأفداحٌ يُعرّش فوقها الخدر

وموائدٌ من حولها بقر

.. ويكونُ مؤتمر

وقد اقتبس الشاعر أحمد مطر قصة سيدتنا مريم العذراء، التي أنجبت نبي الله عيسى عليه السلام بعيدا عن أعين أهلها؛ كي لا يعاتبها به قومها، فخاطبها من تحتها بعبارة هزي إليك بجذع النخلة، كي تغذي جسمها الذي أصبح بحاجة للغذاء، بعد عملية الولادة، وما فيها من إجهاد للأم، فيخاطب الشاعر أحمد مطر القدس، بعبارة "هزي اليك بجذع مؤتمر" لكن هذا المؤتمر لا يساقط شيئا نافعا، فلا يساقط إلا كثرة الكلام بلا معنى أو فائدة، أو جدوى .

هزي إليك بجذع مؤتمر

يساقط حولك الهذرعاش اللهب

.. ويسقط المطر !

ويختتم الشاعر هذه المقطوعة الشعرية بتكرار الاعتذار من المدينة المقدسة، ويكرر عجزه الشديد، فهو أمسى مبتور الأيدي، مجردا من السلاح، فالجيش المدرب والمجهز بأعتى الأسلحة، وأقوى التدريبات، لم يعد للدفاع عن المقدسات، فهو فقط من أجل حراسة الشخصيات، وفرض الخنوع والذل على الشعوب، فالشعب لا يملك سوى لسان ينطق به، وغدا محاسبا على كل كلمة ينطق بها، فالحكومات تضطهد كل من ينطق حرفا واحدا، يحمل معنى وطنياً أو انتماؤاً دينياً، والعقوبة لذلك مجهزة ومعدة ومحكوم سلفا بالموت .

يا قدس يا سيدتي .. معذرة

فليس لي يدان

وليس لي أسلحة

وليس لي ميدان

كل الذي أملكه لسان

والنطق يا سيدي أسعاره باهظة

والموت بالمجان !

في القدس مرة أخرى

محمود درويش

في القدس، أعني داخل السور القديم،

أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى

تصوبني. فإن الأنبياء هناك يقتسمون

تاريخ القدس... يصعدون إلى السماء

ويرجعون أقل إحباطاً وحزناً، فالمحبة

والسلام مقدسان وقادمان إلى المدينة.

كنت أمشي فوق منحدر وأهجس كيف
يختلف الرواة على كلام الضوء في حجر؟
أمن حجر شحيح الضوء تندلع الحروب؟
أسير في نومي. أخلق في منامي. لا
أرى أحداً ورائي. لا أرى أحداً أمامي.
كل هذا الضوء لي. أمشي. أخف. أطيّر
ثم أصير غيري في التجلي. تنبت
الكلمات كالأعشاب من فم أشعيا
النبوي: "إن لم تؤمنوا لن تأمنوا."
أمشي كأني واحد غيري. وجرحي وردة
بيضاء إنجيلية. ويدي مثل حمامتين
على الصليب تحلقان وتحملان الأرض.
لا أمشي، أطيّر، أصير غيري في
التجلي. لا مكان ولا زمان. فمن أنا؟

أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكني

أفكر: وحده النبي محمد

يتكلم العربية الفصحى. "وماذا بعد؟

وماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّة:

هو أنت ثانية؟ ألم أقتلك؟

قلت: قتلتنني... ونسيت، مثلك، أن أموت.

(مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، ص 1-36، يناير 2010).

وفي هذه المقطوعات يتبين لنا بأن الشاعر ينكر وجود غير أصحاب الهوية والحق في المدينة المقدسة فالنور هو الحق المتجلي في المدينة، ويتساءل درويش عن سبب الحرب على القدس والاختلاف والنور فيها واضح بأنها لأهلها وليس لأحد له الحق فيها ولا حق للغرباء فيها، ويؤكد درويش بأن القدس هي أم الأديان السماوية الثلاثة، ويرسل شاعرنا أمنية وباقية أمل في الوجود بأن السلام والمحبة يسودان المدينة الطاهرة.

في القدس أنبياء الله يتفقون على أنها مهد الديانات السماوية الثلاث، ويظهر لنا بأن الشاعر في مرحلة تجلٍ مع الذات الإلهية، فيقر بأن القدس مدينة السلام والمحبة، ويبشر المدينة المقدسة، بأن السلام إليها قادم، رغم الظلام الذي يحجبه عنها، ويتساءل الشاعر كيف يكون الحجر سبب الحرب، رغم الألم الذي يصاحب الشاعر لأنه ما زال يدعو للسلام، فإنه على يقين بأن حجر في يد طفل سينتصر بإرادة شعب فلسطين على مدافع العدو الجبارة.

في القدس، أعني داخل السور القديم،

أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى

تصوبني. فإن الأنبياء هناك يقتسمون

تاريخ القدس... يصعدون إلى السماء

ويرجعون أقل إحباطاً وحزناً، فالمحبة

والسلام مقدسان وقادمان إلى المدينة.

يبحث الشاعر عن أصحاب النخوة والعزة، الذين أخذوا على عاتقهم حماية القدس،
والذود عنها، إلا أنه لا يجد من يسبقه ولا من يبعه، فهو يسير وحيداً، يبحث عن حلم
الحياة، وكأن اللاجئين رضوا بالخنوع والعيش تحت رحمة الأمم المتحدة، راضين بكرت
المؤن، حتى في منامه لا يجد من يحلم معه بالعودة، فيتساءل إن كانت الحجارة التي
استخدمها الفلسطينيون في الثورة والانتفاضة على المحتل تجدي نفعاً؟

كنت أمشي فوق منحدر وأهجس كيف

يختلف الرواة على كلام الضوء في حجر؟

أمن حجر شحيح الضوء تندلع الحروب؟

أسير في نومي. أحلق في منامي. لا

أرى أحداً ورائي. لا أرى أحداً أمامي.

ذكر الشاعر عبارة "كل الضوء لي" والضوء يرمز إلى الأمل والارتياح النفسي، وكأن الشاعر يشبه أمل العودة بضوء الهداية، عندما يتذكر الشاعر العودة، تتجلى لديه أحاسيس عشق الأرض، فيسافر في رحلة التجلي إلى أرض الوطن، فيجد نفسه شخصا آخر، حتى يصبح زهرة فواحة في أرض المسيح، أو حمامة سلام تخلق عاليا في سماء الأقصى والقيامة.

كل هذا الضوء لي. أمشي. أخف. أطيّر

ثم أصبح غيري في التجلي. تنبت

الكلمات كالأعشاب من فم أشعيا

النبوي: "إن لم تؤمنوا لن تأمنوا"

أمشي كأني واحد غيري. وجرحي وردة

بيضاء إنجيلية. ويدي مثل حمامتين

على الصليب تحلقان وتحملان الأرض.

لا أمشي، أطيّر، أصبح غيري في

الشاعر يخرج عن طوره في هذا المقطع، حتى يصدق نفسه أنه إنسان آخر، حتى أنه صار يسأل عن نفسه من وماذا سيكون، فيتوصل بأنه الرجل العربي الفلسطيني الذي يتسم بالجرأة والشجاعة وحب الأرض.

التجلي. لا مكان ولا زمان. فمن أنا؟

أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكني

أفكر: وحده النبي محمد

يتكلم العربية الفصحى. "وماذا بعد؟"

وماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّة:

هو أنت ثانية؟ ألم أقتلك؟

قلت: قتلتنى... ونسيت، مثلك، أن أموت.

في قصيدته "يا قدس يا حبيبة السماء" يخاطب الشاعر محمود حسن إسماعيل المدينة المقدسة قائلاً لها: قومي للمآذن وارفعي الأذان، قومي للكنائس وأيقظي الأجراس، ولا تتوقفي عن نداء الحياة، فالحياة فيك تنبض مهما فعل أبناء الشيطان، وتحديثي عن صمودك الجلل، واركبه يعلو في السماء، يلامس النجوم، ومهما اشتد الظلام فلا بد من فجر يعقبه فغدا سيزغ نور السلام، ويعود إليك أبنائك وتعود إليك الطيور، تهتف للحب والصفاء، ولا تيأسي.

يا قدس يا حبيبة السماء

قومي إلى الصلاة

وباركى الحياة

ورددني التسبيح في المآذن

وأيقظني الأجراس في الكنائس

يطلب الشاعر من القدس أن تظل صامدة مهما تعرضت للظلم والعدوان، فإن كان أهلها (العرب والمسلمون) في سباتهم يعمهون، فعليها أن تطلب الخلاص من رب العالمين، وعلى الفلسطينيين أن يجدوا ويعدوا العدة لتحرير مدينة السلام؛ ليعم الأمن والسلام على أرض السلام والمحبة.

لا توقفي الدعاء للرحمن

مهما لقيت من أذى الشيطان

ردي عليه إثمه وقومي

وواصل الحديث للنجوم

عن بأسك الصامد من قديم

في وجه كل غادر أثيم

وفجّري من حالك الظلام

نوراً يرد عزة الأيام

فلم تزل فيك خطى الإسراء

سابحة في الطهر والضياء

يعيد الشاعر الأمل للقدس، فالليل مهما طال، لا بد من فجر مشرق يبعث الضياء،
والصفاء؛ ليحتضن القدس، الفجر قادم لا محالة، وتعود الحائم على قباب المساجد
والكنائس، تشدوا لحن التحرر والاستقلال.

قومي ومهما اشتدت الجراح

فكل ليل بعده صباح

غداً يهل الفجر للأعقاب

وترجع الطيور للقباب

شادية بالحب والصفاء

هاتفه بأقدس النداء

قومي إلى الصلاة والدعاء

يا قدس يا حبيبة السماء

وهنا يناجي الشاعر مدينة القدس بأن تتحدى العدى وأن تصبر فالقادم لها أجمل
ويدعوها بأن تبارك الحياة فهي مدينة مقدسة بحق الأنبياء والرسل وأن ترفع الأذان في
مساجدها وأن يعلو صوت أجراسها في كنائسها بهذه الصورة يرى بأن صوت المسجد
وصوت الكنيسة يناضلان من أجل البقاء في القدس ويدعوها بأن ترفع هامتها عالياً

ومهما اشتد الظلام فلا بد من فجر قادم والليل البهيم لا بد له من إشراقة صباح تبدد عتمته.

على بعدِ إصبعتين وأدنى من القدس للشاعر الفلسطيني سليمان دغش الذي خص الدراسة بها خلال لقاء مع الباحثة اجري في 15 / 8 / 2013.

يتربق الشاعر ضوء الفجر والتحرر، الذي طال انتظاره، فيظل الأمل بتحرير القدس في عينيه ماثلاً، وإن كان هذا الضوء خافتاً بفعل التقاعس العربي المقيت، فينتظر البرق، وهو مؤشر لنزول الغيث، فهو ينتظر إشارة العرب بتوحيد الصفوف لتحرير الأرض المقدسة، إلا أن هذه الإشارة لا تزال بعيدة، لكنها حتماً ستظهر .

كفراشةٍ تَعَبَتْ منَ الضوءِ البعيدِ وأتَعَبَتَنِي

كَانَ قلبي يَرُصُّ النُّجُومَاتِ في الرؤيا

على بَوَابَةِ التَّأْوِيلِ بينَ غمّاتينِ

على جناحِ الرِّيحِ

لا بَرَقٌ يُبَشِّرُنَا بما نُخْفِي مرآيا الليلِ في الأبراجِ

سواد الليل دلالة على بقاء القدس تحت الاستعمار، فالشاعر يرى أن الحياة فقدت طعمها ولونها، فهي تئن من طول انتظار الأمطار التي تغسل وجه المدينة من دنس الصهيوني، الذي يحكم القبضة على المدينة، دوماً نغني "عائدون عائدون" وبقينا في المنافي،

وظلت القدس تحت الاستعمار تتن، تنتظر عودة اللاجئين والنازح، وهي تبكي الدم على فراقهم، تنظر بصيص الأمل من نور العودة .

كَانَ اللَّيْلُ أَسْوَدَ

وَالْحَيَاةُ تَتَنُّ مِنْ عَطَشِ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَيَاةِ

فَلَا حَيَاةَ هُنَا لِمَنْ تَرَكُوا الْحَيَاةَ

عَلَى مَرَايَا الْحُلُمِ وَالذِّكْرِى

وَقَالُوا :عَائِدُونَ فَعَادَتِ الذِّكْرِى وَمَا عَادُوا

وظَلَّ الحُلُمُ منفيًا كنجمٍ خارجٍ

عَنْ عِلَّةِ التَّجِيمِ

لَا أَحَدٌ يَرَاهُ وَلَا تُفَسِّرُهُ الرُّؤَى

لَا زَرْ يَلْمَعُ فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ

لا زال الشاعر يحمل النظرة التشاؤمية، فالليل، والغراب، والخطيئة، كل هذه تدلل على عظم مصاب القدس، وطول انتظار الفرج، لكنها لم ولن تفقد الأمل ما دام الأحرار من أهل فلسطين ينادون بالحرية والتحرر وتحرير القدس.

جَاءَ اللَّيْلُ فِي وَضَحِ الْخَطِيئَةِ كَالْغَرَابِ

وَكُنْتُ وَحْدِي كَالْفَرَاشَةِ تَقْتَفِي أَثَرَ الْحَدِيقَةِ

خلفَ خيطَ الضوءِ يرسمُ كرنفالَ الشمسِ

فوقَ ذرى الجليلِ

يتحول الشاعر إلى مناجاة الأساطير، كي يشفي غليله، فالحقائق كلها متشابهة، ألم وألم ثم آلام، فيتكى على الأسطورة هروبا من الواقع المقيت، فيصور البحر بيتا له شباك، وأنه يقف على هذا الشباك يناجي طيور فلسطين بأن تعود إلى أرضها كي تعود الحياة إلى المدينة المقدسة.

رأيتُ نفسي ملءَ نرجسها

اتكأتُ على صفائر شهرزاد لعلّ تكتملُ الحكايةُ

مثلما تهوى الأميرةُ

كانَ ظلُّ السندبادِ منارةً للروح،

بوصلةَ الفؤادِ إلى البلادِ

وكنْتُ وحدي

حارساً شُبَّاكَ هذا البحر

أومئُ للنوارسِ أن تعودَ

ولا حدودَ لرؤيتي

يتجه الشاعر في قصيدته إلى ذكرى مؤلة لأهل فلسطين وللعروبة جمعاء، إنها اتفاقية
سايكس بيكو التي قسمت فيها الدول الاستعمارية البلاد العربية فيما بينها، ومنها فلسطين
التي كانت من حصة بريطانيا، لتتلاعب فيها كيف تشاء، وتفي بوعدا لليهود الذي قطع
على لسان وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور.

وقصيدتي زرقاء مثل سماء عينيها

على شُرَفاتِ رُوحِي

من ترى رَسَمَ الحدودِ على خريطةنا

وسلَّم للخرافة شهوة الجغرافيا

ينوه الشاعر إلى أن الله سبحانه، خلق الأرض وجعلها لعمارة بني آدم، وأنها تتسع
لجميع الخلق، إلا أن اليهود مصرّون على الاعتداء على حق غيرهم في هذه الأرض.
الأرض واسعة بما يكفي سلالة آدم البشري

لكنَّ الخرافة تشتهي جسدي المُقدَّس

يا إلهي

كم يُعذِّبنا المُقدَّسُ حينَ نستهوِي الخطيئةَ

كم تُعذِّبنا الخطيئةُ حينَ يسْكُننا المُقدَّسُ

يا إلهي حالة الما بين بين رهينة بالشك

إِنَّ الشَّكَّ مَبْتَدَأُ الْحَقِيقَةِ

واكتمالُ الرّمزِ في المعنى المقدّسِ

القدس لا تبعد كثيرا عن الفلسطينيين لكنها بعيدة جدا جدا، فالمسافة وحدها ليست مقياسا للبعد، فالجائع لا يستفيد من كثرة الطعام بجواره وهو مكبل ومقيد لا يستطيع الوصول إليه، وها هو الأقصى قريب جدا، لكن لا نتمكن من الوصول إليه، ونكتفي بالنظر عن بعد، ونحضر في كل يوم سبت كي ننظر الأقصى ولو عن بعد .

ها أنا وحدي هنا

بيني وبينَ القدسِ إصْبَعَتَيْنِ أو أدنى قليلاً

في يدي مفتاحُ عاصمةِ السّماءِ

ترى هل انتبهَ المسيحُ إلى الوشايةِ يا يهودا

فاستحالَ عشاءُهُ السّريُّ قَدَّاسَ الصّليبِ

إلى القيامةِ

المبدأ العربي الأصيل يظل ماثلاً في أهل فلسطين، العربي لا يبيع صاحبه، ويكتسب من هذا المبدأ التعامل السّمع بين الأديان، فعيسى المسيح، وسيدنا محمد، وموسى كلهم عند الله أنبياء، وكل الديانات السّماوية جاءت برسالة التوحيد، ويعود الأمل بالوحدة عندما يقول الشاعر أن لا أحد يستطيع أن يمنع ارتباطنا بأرضنا.

كم صليلاً ظلّ بعدك يا يسوعُ الناصريّ هنا

لأحمله على كتفَيَّ وعداً بالخلاصِ

رأيتُ نفسي ملءَ نرجسها وهاجسها

اتكأتُ على بشارَةِ مريم العذراءِ،

ويحك يا يسوعُ ألم تُخلِّصني؟

بلا لكنّهم عادوا إليك ليصلبوني من جديد

لا حياة صارت لمن تركوا الحياة وذهبوا وصارت فلسطين ذكرى وصار الحلم الفلسطيني بالعودة معلقا على رفوف الأمل، ويشير الشاعر دغش إلى دخول الأعداء الذين هم كالغربان إلى الوطن ويتساءل لماذا ضاقت أعينهم على فلسطين بالتحديد ويؤكد بأن رغم الحزن ورغم الألم إلا أنه ما زال حارسا لمدينته وما زال متمسكا ببقية أمل وذكرى وقد استحضر الشاعر صلب يسوع المسيح استعارة لشعبنا الفلسطيني الذي ما زال يصلب على يد من صلبوا المسيح الشهيد الفلسطيني الأول.

قصيدة سمو الشيخ صقر بن سلطان القاسمي "مبدؤنا في الحق صامد"، وثقت من خلال اتصال مباشر للشيخة الشاعرة هند القاسمي تلتته للمغفور له في 25 / 7 / 2013.

ثلاثُ مئتين بعد ألفٍ تصرمتُ وخالدٌ فيها إن دعا الحرب خالد

فلا الشرق ينسى في الشأمِ فعّاله ولا وقعةَ اليرموك والخصمُ شاهد

أجبنِي مُذيقُ الخصمِ في كل وقعةٍ يدُ الذلِّ إن ناديتُ باسمك خالد

رهينَ الِلي قَمْ وَأَنْفَضِ التُّرْبَ إِنَّا بأرواحنا جُذْنَا فهل أنت قائد
 فلو شاهدت عيناك في القدس خصمنا وفي دير ياسين تروغُ المشاهد
 وتُهتِك أحزَامُ ويُزهق آمِن تُقسم أوطانُ. تُهد مساجدُ
 فكم من شريدٍ ظل من غير ملجئ يقضَى الليالي وهو بالذل ساهد
 وفاتنةُ الأَخطِ صانَ جهالها عفافٌ وإيمانُ بها ومحمد
 كريمةُ أحسابٍ رفيعةٌ محتدٍ وأطهرُ من قد زيتها القلائد
 تساقُ برغمِ الأنفِ والوجه حاسرٌ ومَدْمَعُها في الخدِ جارٍ وجامد
 وَرَبَّ ثمانين يُساق مصفدا وما كان إلا عن حماء يُجاهد
 أجابَ نداءَ الحر لما دعا به فثار كما ثار الغُصوبُ يُجالد
 ففي ذِمَّةِ الرحمن من خَرَّ ثاوياً تُحييك في دار النعيم الولائد
 كذا فليذدُ عن ملكِهِ طالبُ العلي ويرضَ بذلِ العيشِ من هو خامد
 فلسطينُ يا قومي هلموا فإنها لكم، ويمين الله، قلبٌ وساعد
 فَرَدُّوا كما قدرَ دَعمُ وفخارها فما الموتُ إلا، لو تعدد، واحد
 وقولوا لها في كل واد ومجمع بأرواحنا نفديكِ والله شاهد

فلسطينُ يا فخرَ العروبةِ هَوّني عليك، وإن كرت عليك أساود
فلا شبرُ ما لم يجر فيه لنا دمٌ ولا بقعةٌ إلا بهانام ماجد
لئن فرقتنا قبلُ أيدي أئيمةً فمبدؤنا في قبضة الحق صامد
ثقي ببنيك الصيّد والله ناصرٌ وعزك مرفوعٌ وخصمك حاقد
فقد علّم التاريخُ أنّا بُناتُه وأناله كهف نقيّه وساعد
وأنا أباة الضيم في كل موقفٍ لنا بالذي يأبى السلام مكائد
إذا لم نعدها يا فلسطين جذعة عواناً لها في الملحمات عوائد
ونقتحم الغاراتِ والموتُ كالحُ ونستهون الأهوالَ والروعُ سائد
فلا جادنا يا فتنة الشرقِ صيّبٌ ولا ذادَ عنا ماردة الظلم ذائد

نلاحظ أن الشاعر بدأ قصيدته بالتذكير ببطولات خالد بن الوليد في معركة اليرموك، مؤكداً على حاجة الأمة العربية لقائد مقdam من أمثال خالد بن الوليد، ذلك القائد الذي لم يهزم في معركة سواء في الجاهلية أو الإسلام؛ ليردّ للقدس كرامتها التي سلبت على أيدي المعتدين الصهيونيين، وكأنه في هذه القصيدة يخاطب القائد خالد بن الوليد، ويطلب منه أن ينظر لحال القدس اليوم، وحال المستعمر الذي لم يترك جرماً بحق المدينة إلا ارتكبه، فالمدينة تقسم، ويحفر تحت المسجد الأقصى؛ تمهيداً لهدمه، وبناء الهيكل الذي يزعمه

الصهاينة، والبيوت تهدم، واللاجئين بغير مأوى، ومنتظرون القائد المسلم الذي سيحرر المدينة ويعيد أهلها إلى أحضانها.

ثلاثُ مِثْثين بعد ألفٍ تصرمتُ وخالدٌ فيها إن دعا الحرب خالد

فلا الشرق ينسى في الشَّامِ فعَّالَه ولا وقعةَ اليرموك والخصمُ شاهد

أجبنِي مُذيقَ الخصمِ في كل وقعةٍ يدَ الذلِّ إن ناديتُ باسمك خالد

رهينَ البلى قَمَ وأنفضِ التُّربَ إننا بأرواحنا جُذنا فهل أنت قائد

فلو شاهدت عيناكَ في القدس خصمنا وفي دير ياسين تروغُ المشاهد

وتُتهك أحزامٌ ويُزهق آمنٌ تُقسم أوطانُ . تُهد مساجدُ

فكم من شريدٍ ظل من غير ملجئٍ يقضى الليالي وهو بالذل ساهد

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن المدينة المقدسة، ومكانتها وأهميتها لكل الأطياف من مسلمين ونصارى ويهود، فهي مهبط الديانات السماوية الثلاث، وتوجد بها أهم الآثار والمقدسات لتلك الديانات، ففيها أولى القبلتين، وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، إضافة إلى العديد من الآثار الإسلامية، وبالنسبة للنصارى فهي ذات قيمة بالغة لوجود أم الكنائس (كنيسة القيامة) وعندما يذكر الشاعر القدس الباكية، يعود مرة ثانية ليؤكد على أن خالد بن الوليد أجاب نداء القدس واستغاثتها، ونجد الشاعر يعمل على مفاضلة القدس على الفتاة الجميلة الرشيقة، صاحبة الصون والعفاف والطهارة، ذات الحسب والنسب الرفيع.

وفاتنةُ الأَحاظِ صانَ جَهاها عَفاً وإِيمانُها ومَحمَد
كَريمَةُ أَحسابٍ رَفيعةٌ مَحتدٍ وأَطهرُ من قَد زَينَها القلائد
تَساقُ بِرَغمِ الأنفِ والوَجْهَ حاسِرٍ ومَدمَعُها في الخَدِ جارٍ وجامد
وَرَبِّ ثَمانينِ يُساقُ مَصفدا وما كانَ إِلا عَن حِماهِ يُجاهد
أَجابَ نداءِ الحَرِّ لَمَداعِباهُ فثارَ كَما ثارَ الغَضبُ يُجالد
ففي ذِمَّةِ الرَّحمنِ من خَرِّ ثاويأَ تُحييكَ في دارِ النَعيمِ الولايد
كذا فليذدُ عَن مَلِكِهِ طالِبُ العَلى وَيَرَضُ بِذلِ العِيشِ من هُوَ خامد

وفي المقطع التالي من القصيدة يتجه الشاعر إلى استنهاض الهمم، وإثارة النخوة من أجل تحرير فلسطين عامة والقدس خاصة، مؤكداً على أنها عربية أصيلة، ولا يمكن أن تكون لغير العرب، وإن طال الظلم وطال الأسر فلا بد أن تتكسر القيود، لذلك يدعو الشاعر الشعوب العربية للنهوض، وأن لا يهابوا المنيّة، الموت حق على كل عبد، وإن تعددت أسبابه ومسبباته، أن تموت شهيدا شريفا، خير من أن تموت متخاذلاً.

فلسطينُ يا قَومِي هَلُموا فَإِنيها لَكم، وَيَمينُ اللَّهِ، قَلْبٌ وَساعِد
فَرَدُّوا كَما قَد رَدَّ عَمرو فِخارَها فِما المَوْتُ إِلا، لو تَعَدَّد، واحِد
وقولوا لها في كل وادٍ ومَجمَع بِأرواحنا نَفديكَ وَاللَّهُ شَاهد

فلسطينُ يا فخرَ العروبةِ هَوّني عليك، وإن كرت عليك أساود
فلا شبرُ ما لم يجر فيه لنا دمٌ ولا بقعةٌ إلا بهانام ماجد
لئن فرقتنا قبلُ أيدي أئيمةً فمبدؤنا في قبضة الحق صامد
ثقي ببنيك الصيّد والله ناصرٌ وعزك مرفوعٌ وخصمك حاقد
فقد علّم التاريخُ أنّا بُناتُه وأناله كهف نقيه وساعد
وأنا أباة الضيم في كل موقفٍ لنا بالذي يأبى السلام مكائد
إذا لم نعدها يا فلسطين جذعة عواناً لها في الملحمات عوائد
ونقتحم الغاراتِ والموتُ كالحُ ونستهون الأهوالَ والروعُ سائد
فلا جادنا يا فتنة الشرقِ صيّبٌ ولا ذادَ عنا ماردَ الظلمِ ذائد

فالقصيدة تحمل بين طيات حروفها عدد من الرسائل فشاعرنا يتفاخر بقيادة المسلمين
العظام الذين حرروا البلاد أمثال خالد وعمرو ويتساءل هل من مخلص للمدينة
الحزينة من حزنها وقيدها ويتوجه بندائه إلى كافة العرب والمسلمين قائلاً بأن فلسطين
دولتكم وأن القدس مدينتكم فوجب الذود عنها والدفاع عن حياضها ويشيد شاعرنا
بطهارة المدينة رغم تدنيسها من الأعداء.

الشاعر مصطفى مطر ينسج قصيدته الرائعة "منطق الطير" من خيوط الألم الفلسطيني،
فنجده يبدأ قصيدته التي بين أيدينا بمرارة اللجوء والتشرد، والغربة، والبعد عن الأوطان،
تلك المصيبة التي حلت بالشعب الفلسطيني إثر نكبة 1948 م، وتتجدد مرة أخرى في عام
1967 م، ولا زالت في كل يوم تتجدد، فلا يمر يوم إلا ويسقط شهداء وجرحى،
والأسرى بالآلاف.

حلّق الطيرُ وحيدًا

لا أحيّة..

فاقدًا أنسًا وصُحبة !

شاردًا من قسوة الأرضِ

التي يهوى

لغربة !

كيف هذا الطيرُ

يشكو إخوة الأحزانِ خيبة

رِيشهُ الرِيشِ عليه

عَيْشُهُ واللّهِ صعبة !

في سماءِ كبّلتهَا

قسوة المحتلّ عنوة !

في دماء سفكتها

أهل هذي الأرضِ

قسوة جلبت للشعبِ

نكبة .. تلو نكبة !

ولم يغل الشاعر عن النكبة الكبرى وهي الانقسام الذي أصاب الصف الفلسطيني الواحد الموحد، وأثره في تعطيل حركة النضال الشعبي الفلسطيني، وتعطيل مسيرة عودة اللاجئين إلى ديارهم، فيحتسب الشاعر العودة مع الأموات بعد أن وئدت بفعل الانقسام، فيأمر بتكفينها ودفنها .

يا ضياعاً يسرقُ

الأحلام يُدمي ألفَ وردة

في قتامٍ ينشرُ الآلامَ

والمقتولُ عودة

كفّوها لا تصلّوا

وادفنوها ثمّ ولّوا

ثمّ قولوا إنّنا نسعى لوحدة !

يعتبر الشاعر تحرير القدس من أيدي الطغاة دين في أعناق الفلسطينيين، ويسأل عن أهل المروءة، الذين يصونون العهد، ليتحركوا، ويثوروا ويهبوا هبة رجل واحد؛ من أجل نصره القدس؛ ليصبح حلم تحرير القدس حقيقة، فيسيطر الأمر على الشاعر فعودته للقدس غدت قريبة.

إنّ عهدَ القدسِ

دينٌ !

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

ببقينٍ لا تمنّي ..

أيها الطيرُ قريبًا

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يسرد الشاعر مأساة الشعب الفلسطيني على لسان سيدنا سليمان والهدهد، فالهدهد يشكو لسيدنا سليمان بلفور بوعده المشؤوم، فقد سرق القدس على أعين العرب والمسلمين وباعها بأرخص الأثمان للمحتل الصهيوني عام 1917م، ومنذ ذلك الحادثة والقدس تصرخ وتستغيث بالعرب، لكنها لم تجد إلى هذا اليوم صدا لندائها وصراخها، فالرجال في بني العرب لم يعد لهم أثر في هذا الزمان .

أيها الهدهدُ ماذا

هل هو الخطبُ الأليم

قال مُرَّ القولِ هذا

يا سليمانَ الحكيمَ

منطقُ الطيرِ المعاني

لوعةٌ فيه تقيمُ

رغبةٌ في نزعِ حقِّ

غَلَّه باغِ أثيمِ

سرق القدسَ جهازًا

صرخت تشكو طويلاً

لم تجد في العربِ

شهماً يطردُ الخصمَ الغريم

لم تجد مثلكِ واعٍ

قدرها الحرّ الكريمُ

يرمز الشاعر بالطير إلى الوفاء، والرباط، فإن منطق الطير يلزم بالجهاد والنضال
والتفاني من أجل تحرير بيت المقدس، فإن الشاعر يؤمن بأن لا سبيل لتحرير القدس إلا
بالكفاح المسلح، وأن العدو لا يعرف إلا لغة الحراب، ويكرر عبارة "إن عهد القدس
دين" تأكيداً على وجوب الجهاد.

منطقُ الطيرِ فناءٌ

في سبيلِ القدسِ إيماناً وحبّاً

ذاك حلُّ اللغزِ في الآتي

كما كان فداءً الأرضِ

في العهدِ القديمِ

إنَّ عهدَ القدسِ

دينٌ !

وفي المقطوعة التالية يسأل الشاعر عن أصحاب النخوة والعزة والكرامة من بني
العرب، الذين لا يسمحون بأن يبقى تحرير القدس حلمًا، فيعدوا العدة للقاء عدوهم
ودحره عن عتبات القدس، ليسود في القدس الأمن والأمان، ويعود اللاجئون
الفلسطينيون إلى ديارهم .

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

بيقين لا تمنّي ..

أيها الطيرُ قريباً

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يغوص الشاعر في بحر الألم عندما يستذكر أهل القدس الذين هاجروا منها على أمل العودة القريبة، لكن ليل الغربة طال، وظل النازحون واللاجئون ينتظرون حتى هذه اللحظة، ولم ينسوا ولو للحظة تلك العودة، حتى بعد موت الكثير منهم، لكنهم مصممون على العودة، فيرث الشاب عن أبيه وجده ذلك الحلم المنشود، والكل يأمل في العودة، وإن طال الانتظار .

أين حطّ الطائرُ المذبوحُ في ليلِ

الدموع ؟

أين كوفيةُ جدّي ؟

مات يحنو للرجوعِ

ما درى جدّي بأنّ الليلَ

خُلدٌ في ضلوعي !

لم يرَ استحكامَ صوتِ

الزيفِ فينا

والأمانى كالقطيعِ

إنَّ عهدَ القدسِ

دينٌ !

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

بيقينٍ لا تمنّي ..

أيها الطيرُ قريباً

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يسيطر أمل العودة على الشاعر، فالطير في قصيدته يقف ناظراً للقدس، ينتظر الصباح (التحرير) فمَنْذ أن ولد وهو يحتسي مرارة الغربة يحلم بالعودة إلى الديار، ينتظر الساعة التي يرى فيها ساحات وباحات القدس ميدان لمعركة التحرير والتحرر، ويرى المحتل يرحل، مؤكداً على أن الجهاد للذود عن حمى القدس واجب مقدس، وأن الجهاد هو السبيل الأمثل للتحرير.

نحو أرضِ القدسِ يحنو للصباحِ

عاش يحنو لصلاحِ

عاش يسقيها جراحاً من جراحي

صَوْتُهُ صَوْتُ السَّاحِ

دَمْعُهُ كَانَ رَسُولًا

لِلْمُنَى فِي كُلِّ سَاحِ

صَارَ صَوْتُ الْقُدْسِ

مَأْوًى لِلرَّمَاكِ

صَارَ مَثْوًى لِلنَّبَاكِ

وَأَخِي ضَيْفًا عَلَيْهَا

يَا لِعَزِيّ الْمُسْتَبَاكِ

إِنَّ عَهْدَ الْقُدْسِ

دَيْنٌ !

أَيْنَ مَنْ يَحْفَظُ عَهْدَهُ

لِيَغْنِي

بِيقِينٍ لَا تَمْنِي ..

أَيُّهَا الطَّيْرُ قَرِيبًا

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يخاطب الشاعر القدس ويطلب منها أن تكفكف دموعها، وأن ترتل آية الكرسي، كي يحميها الله سبحانه، فتجيبه بأنها على العهد باقية، صامدة، وأنها رغم الألم ورغم الأسر، وتخبره بأنها ملك للعرب الفلسطينيين، وأن اليهود إنما هم دخلاء عليها، ولا بد يوماً للدخل أن يخرج منها صاغراً، بأيادي أبنائها المرابطين، ثم تحمّل القدس الطير رسالة إلى أبناء العروبة، ومضمون هذه الرسالة أنها أسيرة تنتظر أبناءها الأبطال؛ كي يحرروها من سجنها المقيت .

أخبريني أنتِ يا سرَّ أنيني

ما الذي أجرى بحارَ الدمعِ

نارًا في عيوني

أخبريني ..

كفكفي دمعَ الشجونِ

وضعي يدكِ الطهورَ

فوقَ أوجاعِ جبيني

رتلي (الكرسيَّ) أمّي

فأنا جدّ حزين

قالتِ اسمع يا صغيري

أنا ما مات ضميري

سل صغيري وكبيري

عن عصوري

قل لمن عاش بحضني

إنني أقضي بسجن

دون عيشٍ مطمئن

دون أحبابٍ وأمن

قل لهم إنَّ الغريبَ

غادرٌ لا ليس مِنِّي

إنَّ عهدَ القدس

دينٌ!

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

بيقين لا تمنّي ..

أيها الطيرُ قريبًا

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يؤكد الطير للقدس أنه ابنها الوفي البار، ولن يتخلّى عنها مهما طال الغياب، فهو لا
يقبل سواها أما له، مؤكدا لها أنه ناضل من أجلها وجاهد، وسوف يواصل نضاله وكفاحه
حتى تحرير كل شبر منها .

أخبريني .. فأنا شبلُ البلادِ

منكِ عظمي أنتِ زادي

أنتِ يا قدسُ مُراذي

أخبريني عن رشادي

عن فدائي وكفاحي وزنادي

عن ندائي وسلاحي يا فؤادي

وهنا يستنطق الشاعر القدس بنداء حزين، فهي تطلب من أبنها أن يعود إليها، إلى
حضانها الذي افتقده منذ سنين، ويحييها بأنه يتمنى ذلك، لكن هذا الأمر أصبح صعبا، لا
مستحيلا، بعد أن بيعت القضية الفلسطينية، وشرع للغريب بالإقامة والاستيطان فيها،
فيعتبر الطير هنا أن كل خطوة في المفاوضات، تؤخر وتبعد من حل أزمة اللاجئين

والنازحين، لكن الشاعر في نهاية كل مقطع يعيد الأمل من جديد رغم كل شيء ضده،
فيكرر عبارة "أيها الطيرُ قريباً يرجعُ الأمنُ لعشكُ" تأكيداً على أمله الدائم في العودة .

نطقْتُ والصوتُ مجروحُ المِدادِ

يا بنيَّ

أنت أغلى ما لديَّ

عُدْ إليَّ

كيف يا قدسُ وقد باعوا القضية

وأنا صرْتُ شريداً مالي في أرضي هُوية

ذاك مفصولٌ وهذا في منافي الجاهلية

وأخي ينأى وأناى

وأنا بينَ بنيَّ صرْتُ واللهِ الضحية

إنَّ عهدَ القدسِ

دينٌ!

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

بيقين لا تمنّي ..

أيها الطيرُ قريبًا

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

يسأل الطير أمه فلسطين عن العودة، متسائلا عن سرّ تأخر العودة، هل هي بسبب لعنة إلهية من جراء ذنوب الأمة العربية وبعدها عن الدين، أم أنها بسبب التخاذل العربي والتأمر على القضية الفلسطينية، فتؤكد القدس للطير بأن العودة أمر محقق، لكن لا بد لتحقيقه من أمرين: الرجوع إلى الدين الحنيف، والتوحد والتآزر وتكاتف الأيدي في وجه العدو، وإنها تطمح بأن تتحقق في أسرع وقت .

أخبريني

هل إليك سنعودُ

أم سيبقى الليلُ فينا ويسودُ

أم هي اللعنةُ تجري في مجاريها العقودُ

أم هي الأوزارُ جيشُ والأسى فينا يقودُ

أخبريني

هل إليك سنعودُ

ستعودون ولكن قبلَ هذا يا صغيري

إِنَّ حُلْمِي

أَنْ تَعُودُوا

عَنْ فِلَسْطِينَ مَعًا فِي خَنْدِقِ

الدَّوْدِ بِعِزِّ أَنْ تَذُودُوا

سَتَعُودُونَ وَلَكِنْ كَيْ تَعُودُوا

قَبْضَةً يَا أَهْلَ عُودُوا

إِنَّ عَهْدَ الْقُدْسِ

دِينُ !

أَيْنَ مَنْ يَحْفَظُ عَهْدَهُ

لِيَغْنِي

بِيقِينٍ لَا تَمْتَنِي ..

أَيُّهَا الطَّيْرُ قَرِيبًا

يَرْجِعُ الْأَمْنُ لِعَشْكَ

ترسل القدس نداء للطير بأن يمسح الأحزان، وأن يسعى للفرحة الكبرى، حين يخلق
في سماء القدس، وهنا رسالة الشاعر تدعو إلى الوحدة والتكاتف في وجه المحتل، وتجنب
الافتتال الداخلي، فعبارة "فحرامٌ يا بنيَّ أن يموتَ الطيرُ قهراً وبأيدي الصَّحْبِ يُذبح"
موجهة إلى حكومتي رام الله وغزة، بأن يكفوا عن الحراب الداخلي، ويتكاتفون في صف
واحد؛ لحماية القدس .

ثم قل للطيرِ يفرحُ

دمعةَ الأحزانِ يمسحُ

بعدَ طولِ الهَمِّ يمرحُ

في سماءِ القدسِ

حرُّ طيرُنَا العنقاءِ يسبحُ

فحرامٌ يا بنيَّ أن يموتَ

الطيرُ قهراً وبأيدي الصَّحْبِ يُذبح

آن عهدُ الحبِّ في القدسِ

قريباً سوف يصدحُ

أيها الطيرُ قريباً

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

عودة الأمل للشاعر، فأهل فلسطين سوف يجتمعون في إطار الوحدة، ويتحلقون
حول عروسهم، فالفجر آت لا محالة، وتعمّ السعادة، وتبني الطيور أعشاشها في أمن
وأمان، دون خوف من الأفاعي، ويرسل الشاعر هذه الرسالة كي يصحو العرب من
نومهم العميق، ويفيقوا لأخطار العدو، ويوفوا بدينهم ويحرروا القدس ويعيدوا الحياة
والمجد لها .

ذي فلسطينُ عروسٌ وملاكٌ

فوق عرشك

فجرٌ هذي الأرضِ آتٍ

شعبُنا يرجوهُ يُوْشِكُ

يُحَفِّظُ العُشُّ بوحدَة

تحفظُ الوحدَة وردة

تجلبُّ الوردَة سعدَه

وينيرُ السعدُ وجدَه

هكذا العُشُّ سيُحمى

وإلى القدسِ سلامًا

بعد شوقٍ ومودّة

نحن منها وإليها

فجرنا يشتاؤُ جندَه

صحوّةٌ من بعدِ نومٍ

أوجعت في القلبِ

مُدّة

إنّ عهدَ القدسِ

دينٌ !

أين من يحفظُ عهدَه

ليغني

ويغني ..

ويغني ..

ببقينٍ لا تمّني

أيها الطيرُ قريباً

يرجعُ الأمنُ لعشكُ

وفي هذه القصيدة التي خصها بالبحث "القدس في الشعر العربي" بعد اتصال مباشر به من قبل الباحثة حيث أصر شاعرنا على أن القدس حالة خاصة ولا توفيقها حقها كل قصائد الدنيا التي تعبر عن كم هائل من مشاعر الواحد فينا نحوها.

وطالعنا الشاعر مطر الشاب الفلسطيني الذي شرب ذكريات الأرض المغتصبة حتى ارتوت عروقه من أحاديث جده وصار يكتب الذكرى قصيدة لتبقى القدس والقضية في عقول أبنائها فشاعرنا الشاب كبر على أحاديث الوطن وصار يحمل هما كبيرا وأمانة في عنقه ومن خلال قصيدته ألحظ بأن الشاعر يعاني من فراق الفلسطيني عن أخيه الفلسطيني وذلك بسبب الانقسام ويدعو من خلال حوار مع أمه (القدس) بأن تبقى صامدة مهما حصل فالفجر آت كما يقول والنصر للأم الصابرة وما زال يحمل بين طيات حديثه تلك النظرة التفاؤلية لمستقبل القضية بالرغم من أنه يشكو من تحاذل كافة العرب لا يزال الشاعر يذكرنا بأنه في غاية الشوق لأمه التي لم يرها منذ أمد بعيد ومع ذلك يقول لها سأموت من أجلك إلا أنها ترفض ذلك فالأم تأبى أن يموت ابنها لأجلها لكنه يرفض ويرى بأن القضية صارت بالمزاد وأن أعلى ما يملك سيضيع من بين يديه ولكنه يقاتل ليحفظ البقية ويريد أن يقاتل ليحفظ الهوية فهو صار لاجئاً وأصبح ضحية ولكنه يختم قصيدته بمناجاة لطائر الوطن الحزين بأن العودة للديار صارت قريبة قريبة والفلسطيني صار على مرمى حجر من أرضه ووطنه.

وشاعرنا هو من الشباب الفلسطيني الثائر بكلامه وأفعاله وقد كتب قصيدته من أجل إعداد هذه الدراسة، ويبقى الأمل يا مصطفى يراودنا بالعودة .

شاعر متمرس آخر من الداخل الفلسطيني، الشاعر معين شلبية وفي قصيدته هو الآخر خصنا بها من خلال اتصال مباشر به في 12 / 8 / 2013 حملت عنوان (هل يغريك الموت؟).

يخاطب الشاعر الإنسان العربي، ويسأله أن كان الخنوع والذل يسيطر عليه، يهاب الردى، ويجلس متخاذلاً عن نصره القدس، هل العرب أصبحوا قانعين بحياة اللهو الزائفة، أم أن لهم عهد ناصع البياض يعودون فيه إلى الجهاد والنضال من أجل تحرير عروس فلسطين، التي تداس أذيالها تحت وطأة الاحتلال .

هَلْ يُغْرِيكَ الْمَوْتُ ؟

مُتَوَجِّحاً كَنَفْحَةِ طَيْبٍ

لَا وَسْماً بَهِياً بَعْدَكَ

هَبَطْتَ مِنْ وَرَقِ الْغَمَامِ

لِتَرْسَمَ الْمَعْنَى

وَتَبْعَثَ مِنْ ضَبَابٍ يَدِيكَ

رِسَالَةً أُخْرَى

وَدَمْعاً أَبْيَا.

يخاطب الشاعر بني العرب، مستهجننا انغماسهم في ملذات الحياة، وتقاعسهم عن النضال من أجل تحرير القدس، هل يعرفون شيء عن القدس، بكل تأكيد جميعهم يعلم

بأن القدس بحاجة لنصرة ومناصرة، إلا أن شياطينهم لا يسمحون لهم بالتحرك إليها،
ويبقوا في رغد العيش يسامرون شياطين الإنس والجان .

هَآ أَنتَ تُؤَثُّ عَهْدَ الْغَيْبِ

وَتَرْحُلُ فِي شَهْوَتِكَ الْأَبَدِيَّةِ

هَآ أَنتَ تَحْدُقُ ثَانِيَةً فِيَّ

وَتُحَلِّقُ فَوْقَ رِيَّاحِ الْقُدُسِ

هَآ أَنتَ تُنَضَّبُ صَفْوَتَكَ الْوَحْشِيَّةِ

وَتَسْحَنُ بِالْخَيْطِ اللَّيْلِكَ

عَلَّ اللَّيْلِكَ يَعْبُرُ طَقْسَ الْمَوْتِ

بِدُونِ خَلَاصٍ .

يعاتب الشاعر أبناء العروبة، لأنهم قصرُوا بل أذنبُوا وأجرمُوا في حق القدس،
بالتخاذل، متسائلاً عن الطين الذي جبلوا منه، فهم نسوا إنسانيتهم، ولم يحفظوا منها إلا
الغرائز، ورضوا بالحياة الزائفة التي تطل عليهم من خلف مساحيق الذل والهوان .

هَلْ يُسْعِفُكَ الْعَشْقُ؟

مِنْ أَيِّ سُيُوخٍ طِينِي قَذَفْتَكَ الْعُرْلَةَ

حَتَّى تُسْوِعَ الْعُمُرُ؟

مِنْ أَيِّ مَجَالٍ نَارِيّ دَفَقْتُكَ جِهَاتُ الْخَلْقِ

نَحْوَ مَسَاحِقِ الْمَنَى؟

مِنْ أَيِّ مَهَبٍّ مَائِيّ تَتَشَمَّمُ رَائِحَةَ الْبَحْرِ

وَتَدْعُو لِلْمَطَرِ النَّائِيهِ

فِي صَفْحَاتِ الرَّمْلِ؟

هَلْ يُسَعْفُكَ الْبَحْرُ؟

يَقَرُّ الشَّاعِرُ بِأَنَّ الْقُدْسَ مَدِينَةُ الْجَمَالِ، فِيهَا تَضَحُّ الرُّؤْيَا، وَيَحْمِلُ الْجَمَالُ مَعْنَى، فَمِنْذَ أَنْ
مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى مَفَارِقِ الرُّوحِ، وَاکْتَوَتْ بِالْغُرْبَةِ، وَجْهَ الشَّاعِرِ نَدَاءً بِأَنْ يَحْمِلُوا بِلَادَهُمْ فِي
قُلُوبِهِمْ، وَيَهْبِثُوا لَهَا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ سَلَامٍ، وَمَهْمَا ذَهَبَ الْمَخْلَصُ الشَّرِيفُ لِلْوَطَنِ، إِلَّا أَنْ
رَائِحَةُ الْوَطَنِ تَطْفَحُ بِالْأَحْزَانِ، وَمَا يَزَالُ الشَّاعِرُ يَتَسَاءَلُ هَلِ الذَّلُّ وَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الْمَدِينَةِ
يَغْرِي إِلَى حُدِّ الذَّبُولِ، وَالْكَلِّ يَعْلَمُ بِأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ عَلَى الْمُتَخَاذِلِ وَالْمُنَاصِرِ لِلْمَدِينَةِ، فَالْمَوْتُ
قَمِيصُ الرُّوحِ .

مِنْ أَيْنَ لِي عُرْيُ الْإِجَابَةِ حِينَ يَشْتَعِلُ السُّؤَالُ؟

مِنْ أَيْنَ لِي رَجْعُ الْمَرَايَا حِينَ يَنْكَسِرُ الْقِنَاعُ؟

مِنْ أَيْنَ لِي وَقْعُ الْأَغَانِي حِينَ يَنْتَفِضُ النَّشِيدُ؟

مِنْ أَيْنَ لِي

مِنْ أَيْنَ لِي

وَلَكَ الْبَدَايَةُ وَالْقِيَامَةُ

فِيكَ يَكْتَمَلُ الْهَلَالُ!.

لَكَ قَمَّةُ الرُّؤْيَا

مُذْ مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى مَفَارِقِ رَوْحِكَ وَانْكَوَيْتَ

يبعث الشاعر برسائله إلى الفلسطيني المقيم خارج الوطن، والفلسطيني المقيم داخل الوطن، وإلى كل شرفاء الأمة العربية، بأن يحملوا البلاد، ويخرجونها من مستنقع الذل، فكل واحد منا يجب عليه أن يقوم لنصرة القدس كل على قدر ما يستطيع .

فَاحْمِلْ بِلَادَكَ

رُجَّهَا لَوْ شِئْتَ

وَهَيَّيْ لِسَيِّدَتِي الْأَنْيَقَةَ مَا اسْتَطَعْتَ

مِنْ الْبَيَاضِ الْمَقْدِسِيِّ

فَكُنْ جَرَساً فِي مَمْلَكَةِ الْفَجْرِ

وَكُنْ كَالْبَرْقِ فِي مَلَكُوتِ الْغَسَقِ.

مُتَّكِئاً عَلَى خُرَائِبِ رَوْحِكَ

مُؤَجَّلًا كَقَمَرِ الْيَابِ وَشَمْسِ الْفُقَرَاءِ

يسعى المحتل بأن يظل أهل القدس بعيدين عنها، ويسعى دائما إلى إخراج من فيها إلى خارجها، كي تظل القدس بدون أهل ليفسح المجال للمستعمر الإسرائيلي بالإقامة فيها، فتتفتح نوافذ الغربة ففي كل يوم تفتح نافذة جديدة للغربة .

يَأْخُذُنِي الْبَحْرُ تَمَامًا

يَفْتَحُ شَبَاكَ خَلْفِيًّا لِلْغُرْبَةِ

تَحْمِلُنِي يَنَابِيعُ الْجُوعِ

فَتَجْهَشُ فِي رَائِحَةِ الْوَطَنِ الطَّافِحِ بِالْأَحْزَانِ

يَنْهَمُرُ الْوَهْجُ بَقَايَا لَا أَعْرِفُهَا

يعود الشاعر للتساؤل إن كان الموت سبيل للإغراء، ويجيب نفسه بالنفي، تأكيداً على أنه سيظل صامدا متمسكا بأرضه ووطنه .

يَرْتَعَشُ عَلَى الشَّفَتَيْنِ سُؤَالُ:

هَلْ يُغْرِيكَ الْمَوْتُ؟

لَا !

هَلْ يُغْرِيكَ الْمَوْتُ؟

لَا !

هَلْ يُغْرِيكَ المَوْتُ؟

لَا!

كَيْفَ الرَّفْضُ..

وَالْمَوْتُ قَمِيصُ الرُّوحِ المَتَّهِئِ

فِي مَهْجَعِكَ المَوْعُودِ

كَيْفَ الرَّفْضُ؟

وَفِي القَلْبِ مَسَارٌ يَتَمَلَّمُ عِنْدَ الحَلَمِ

يَا مِعْرَاجاً يَحْمِلُ

فَوْحَ ثَرَاهَا

وَعَوْدَتَكَ المُنْتَظَرَةَ.

وتبقى القضية الفلسطينية هي النقطة المركزية عند شعرائنا والدفاع عنها من مقومات الحياة وكذلك القصيدة فلا الموت يغري ولا المنفى إلا أن أحلام الفلسطينيين تحلق عاليا في سماء القدس فالقدس هي البداية وهي أم النهاية فرائحة الوطن المنتشرة عبر البحر وعبر الذكرى تلاحق الشاعر فيها يتشبث وبقية الوطن.

يقول الشاعر محمد علي شمس الدين: القدس أكثر من مدينة، بل لعلها رمز شعري يرتفع إلى مرتبة الرؤيا. إنها أيقونة مقدسة، وموطن نزاع ليس على السماء بل على الأرض. الإسلام جعلها مدينته، واليهود سمّوها أورشليم، والمسيحيون صاغوا جزءاً من قداستها لهم.

حتى الآن، هناك تاريخ للقدس أكثر من النصوص المكتوبة عنها. لقد دخلت في أدبيات الصراع التاريخي والسياسي قبل أن تحظى بشغف الشعراء والكتاب، ولكنها باعتقادي لم تكن رمزاً شديد الإثارة، لأن شعراء الحداثة العربية لم يكونوا ذوي اتجاه يقدس المدن لمجرد أن الأديان قدستها أو لأنها موضوع صراع ينبغي أن يكون عادلاً. القدس لم تختلف عن المدن الأخرى في التناج الشعري، بل إن مدناً فلسطينية أخرى حضرت بكثافة أكثر مثل: حيفا ويافا وعكا. القدس موجودة في وجداننا كجرح ورمز لقضية كبرى، ولكنها لم تترجم كفاية في الشعر.

ويقول محمود درويش: "هنا القدس يا امرأة من حليب البلبل"، ولكن عليك أن تشرح طويلاً معنى "حليب البلبل" لأهل القدس ولجمهور الشعر عموماً.

ويقول الناقد التشكيلي فيصل سلطان: أظن أن القدس هي ضحية غياب إستراتيجية ثقافية فاعلة ومنظمة ومستمرة لإبقائها في دائرة الضوء، وبالتالي حمايتها من مخططات التهويد المستمرة من قبل الاحتلال الإسرائيلي. هناك كتابات ونصوص وأعمال كثيرة، إضافة إلى النقاش الفكري والسياسي الذي لم يتوقف منذ نشوء القضية الفلسطينية عام 1948 بل إن بعض هذه الأعمال والجهود الصادقة بدأت قبل ذلك بسنوات، ولكن المشكلة في رأيي موجودة في العقل العربي الذي حوّل القضية الفلسطينية والقدس في قلبها إلى أيقونة وجدانية وجرح نفسي، بدلاً من أن تكون هدفاً ملموساً وقضية واقعية. صحيح أن موازين القوى لم تكن يوماً لمصلحتنا، ولكن العرب كحكومات وأنظمة

استكانت لفكرة أن العدو أقوى، كما أن بعض هذه الأنظمة تاجرت بالقضية الفلسطينية، وتحولت القدس في خطابها إلى مادة لفظية وجزءاً من أكليسيات النضال اللغوي الذي تحول مع الوقت إلى لغوٍ سياسي يصعب ترجمته للمواطن العربي قبل ترجمته للرأي العام العالمي. ضمن هذه الصورة، يبدو المثقف العربي أمام قضايا عدة، فعليه أن يكون كاتباً جيداً ومصلحاً اجتماعياً ومناضلاً سياسياً وناشطاً في قضايا الحريات والتعبير. المثقف الفلسطيني لصيق بقضيته أكثر من المثقف العربي المحارب من قبل الأنظمة التي يعيش فيها، وعليه في الوقت نفسه أن يكون صوتاً مختلفاً وضميراً لشعبه وشاهداً حقيقياً على الواقع.

(محمد الزينو السلوم: القدس في الشعر العربي القديم والحديث. <http://www.alkhaleej.ae>)

والسؤال هنا: هل استطاع المثقف الفلسطيني أن يتم صموده أمام هذا التحدي ويقدم للقدس بعض ما تستحقه؟

لا نزايد حين نقول أن الفلسطيني القادر على التصدي لترسانة المحتل بصدده العاري عاجزاً عن مواصلة مسيرته النضالية ؛ التي تكبد مسؤوليتها منذ أن وطئ المحتل أرضه وقدمه هذه المسيرة التي لم ولن تقتصر على المواجهة المباشرة لعدوه في الميدان، بل اشتركت كافة شرائح المجتمع الفلسطيني كمجتمع نضالي متكامل في هذه المسؤولية جنباً إلى جنب، فتكاتف الجميع مثقفاً وأديباً وشاعراً وكاتباً كل بلونه وأسلوبه لهدف واحد استطاعوا وبجدارة أن يطوعوا اللغة بمفرداتها؛ لخدمة الأرض والوطن والقدس والقضية فخلقوا من الحرف رصاصات تجتث فكرة وادعاءات الوجود الغاشم للمحتل. فحملوا القدس والقضية إلى كل المحافل الدولية .

وأصبحت القدس أهم رمز لأكبر وأطول صراع معاصر، وهو صراع العرب والمسلمين مع العدو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني، وغدت إلى جانب ذلك عنواناً

للقضية الفلسطينية وبوابتها، وقضية العرب كل العرب مسلمين ومسيحيين، والمسلمين
عموماً وجميع الأحرار في العالم. ورغم محاولات التهويد وطمس تاريخها الطويل، من قبل
المحتل الغاصب إلا أنهم مع بعض إخوانهم العرب تصدوا بكل وسائل القول والتعبير
لسياسة الإنهاك والتئيس التي اعتمدها الكيان الصهيوني وأعوانه، إلا أن ذلك كله ظل
دون حجم الجهد المطلوب، وفاءً للقدس القضية.

فها هو الشاعر الموريتاني (فاضل أمين) يعبر عن غضبة الشعب في إطار معركته
الوجودية قبل عدة عقود فيقول:

يا أيها الباكون في أعطافها والحاملون إلى الصلاة زمامها

القدس أكبر من حكاية ناكص ومن العجائز نمقت أحلامها

القدس ليست خيمة عربية ضاعت فردد شاعر أنغامها

القدس ليست قصة وهمية تذرّوا الرياح الذاريات كلامها

القدس تولد من هنا من شمسنا ومن الروابي يحتسين ضرامها

فهذا شاعرنا العربي يذكر الجميع بأن مدينة القدس هي أكبر من أي قضية وهي أكبر
من حكاية فالقدس كما يقول تولد من هنا من شمسنا أي أن القدس صاحبة حق
واضح ولا لأحد عليها يد في ذلك فقضية فلسطين والقدس ليست مجرد كلام تذرّوه
الرياح.

وكذلك قصيدة قصيدة (أبو علي الحسن بن علي الجويني) في فتح بيت المقدس:

جُنْدُ السَّمَاءِ لِهَذَا الْمَلِكِ أَعْوَانُ وَقَدْ مَضَتْ قَبْلُ أَزْمَانُ وَأَزْمَانُ

متى رأى الناس ما تحكيه من زمن لها سوى الشكر بالأفعال أثمان

فالآن كفى صلاح الدين دعوتهم سمّت لها همم الأملاك مذ كانوا

لناصر ادّخرت هذي الفتوح وما ل الناس داود هذا أم سليمان؟

(محمد الزينو السلوم: القدس في الشعر العربي القديم والحديث. المرجع: محمد نجيب المعاذ. مجلة البحث

التاريخي تصدر عن الجمعية التاريخية بحمص)

وهناك عشرات النصوص الأدبية الثرية والشعرية التي تناولت القدس منذ العصر الإسلامي، ولعلنا نستعرض بعض النصوص الشعرية التي قيلت في ذلك.

وحين احتلت القدس ثانية من قبل الصليبيين، رثاها الشاعر الفاضل شهاب الدين أبو يوسف، إذ قال:

لتبك على القدس البلاد بأسرها وتعلن بالأحزان والترحات

لتبك عليها مكة فهي أختها وتشك الذي لاقت إلى عرفات

لتبك على ما حلّ بالقدس طيبة وتشرحه في أكرم الحجرات

وقال الشاعر ابن مطروح في فتح القدس الثاني، مُشيرًا إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي والناصر قلاوون:

المسجد الأقصى له عادة سارت، فصارت مثلاً سائرًا

إن عادته بالكفر مستوطنًا أن يبعث الله له ناصرًا

فناصر طَهَّرَهُ أَوَّلًا وناصر طَهَّرَهُ آخِرًا

وقد حَضَّ الشعراءُ الحُكَّامَ على تَخْلِيسِ بيت المقدس من الفرنجة، فذا الشاعر ابن القيسراني يهيب بنور الدين محمود أن يُخَلِّصَ القدس من براثن المحتلين قائلاً :

فانهض إلى المسجد الأقصى بذِي لُجْب يُولِيكَ أَقْصَى المَنَى فالقدس مُرْتَقِبُ

وَأُذِنَ لِمَوْجِكَ فِي تَطْهِيرِ سَاحِلِهِ فَإِنَّمَا أَنْتَ بَحْرٌ جُئْتُ لِحَبِّ

وهذا خليل مطران (1871-1949)، في قصيدة "تحية للقدس الشريف"، لا يجد إلا لغة التعميم في ذكره حبه لها:

سلامٌ على القدس الشريف ومن به على جامع الأضداد في إرث حبه

على البلد الطهر الذي تحت تربه قلوبٌ غدت حباتها بعض تربه

وهذا علي محمود طه (1902-1949) وهو من الشعراء المصريين القلائل الذين أوردوا ذكر القدس، وتناولوا القضية الفلسطينية حينها- يقول:

أخي إن في القدس أختًا لنا أعد لها الذابحون المدى

أخي قم إلى قبلة المشرّكين لنحمي الكنيسة والمسجدا

وبنفس الروح وفي إشارات مماثلة يقول عمر أبو ريشة (1910-1991):

يا رواي القدس يا مجلى السنا يا رؤى عيسى على جفن النبي

أو يقول:

يا تثنى البراق في ليلة الأسر اء والوحي ممسك بعنانه

وفي الشعر الفلسطيني الحديث يخصص إبراهيم طوقان (1905-1941) قصيدة له بعنوان "القدس" ولكنه لم يتناول فيها إلا ما وصفه "التطاحن الحربي الذي تفشى في فلسطين حينذاك"، وكانت القدس بوصفها عاصمة البلاد مركز ذلك التطاحن.

(محمد الزينو السلوم: القدس في الشعر العربي القديم والحديث. القراءات النقدية في الشعر. المرجع: محمد نجيب المعاذ. مجلة البحث التاريخي تصدر عن الجمعية التاريخية بحمص.

"على كتف القدس" للشاعر يوسف عبد العزيز الذي يستذكر قطنة بلدته القريبة من القدس ويحاكي جرح المكان والزمان وعن منغاه وغربته وضياع حقه وهويته التي تشتت مع غربة الذات إلى غربة الجسد هناك في شتاته حيث لم يبق إلا الذكريات في جعبته يجالسها:

لا شيء في جعبي

غير حُقٍّ من الذكريات

أكبكُها في جروود المنافي

فتخضّر...

حيث يجذبه ذاك الحنين الملاصق لقلبه وعقله لكن دون أمل وكأنها غيمة باهتة لم يجد إلا حطام قصائد بعد كل هذا الحنين وهذا الحلم الذي يكاد أن يقهر فيه الحقيقة:

حين أفقت وجدت جحيمي

أمامي

وما كان في سلّتي

غيرُ قشرِ الرّوى

وحُطامِ القصائدِ

في البابِ رجّ الحنينِ ضلوعي

وحاولتُ أن أتماسكَ

همهمَ قلبي فكَمَّمْتُه بالأصابعِ

ثمّ مشيتُ وراءَ الصَّبِيِّ

الذي راح يَخْفُقُ مثلَ الحمامةِ

في غيمةِ الطَّيْنِ

وهنا الصبي كشخصية بالقصيدة مرتبط بالاحتلال ومدة هجرة الشاعر وتواجهه في

منفاه حيث قال شاعرنا في رائعته:

من مكمني بعد خمسين عاماً

أرى الأمّ تمسكني

من ذراعي

وتسألني بحنان:

وأنت أما نمتَ يا ولدي؟

فِرْدَ الصَّبِيِّ الَّذِي فِيَّ

تعبان یمااااا

وعطشان عطشان عطشان

ها إنني في شعاب الجحيم أدور

وريح السموم تحت عظامي

ويأتي المشهد السكري الذي يصف فيه جمال القدس من وراء البحر ويقول لشدة

ضوئها لا يستطيع الناظر التحديق بهذا الجمال ويصفها أنها كالفرس بجناحين:

وإذا التفت المرء للقدسِ

يمكن أن يتراءى له فرس بجناحين

يلتهبان من النور

لكنه لن يرى أي شيء هناك

لَأَنَّ الضَّيَاءَ الشَّدِيدَ

سیخطف عینہ

ويعود ليتذكر الأيام الجميلة التي قضاها وهو طفل يلعب ببراءة الأطفال في ذاك العمر
قبل الاحتلال واصفا موقعها وطريقة اللعب وحتى الفرحة العارمة التي كانت تملأ عليه
الحياة ليعود ويمجد نفسه من جديد في منفاه بلا وطن:

في ذلك الموقع المرتفع

كان قلبي ينطّ ويلعبُ

مثل الأرانبِ

والبطّ

والحجل الل.....

حتى يصل إلى نقطته الهاربة

الماء أفعى رأنا

فحدّق فينا

ودقّ الثُّرابَ

وخوّصّ في السَّهْلِ حتى تعكّر

وها هي رائعة الشاعر يوسف عبد العزيز كاملة أمام القارئ العربي الذي لا بد أن يقرأ
العمق الدلالي فيها للمكان والزمان:

الزيارة

قرب باب سميكَ خشب

حيث ريشُ الظلال

يتموّجُ

والبومُ ترعى الخرائبَ

أبصرُ من مكمني بعد خمسين عاماً

صبيّاً نحيلاً

بعينين حائمتين

وقنزعةٍ من ذهب

وهو يلمعُ وقتَ الغروبِ

ويدلفُ مع أخته الشاةِ للبيتِ...

من مكمني أدخلُ الآن خلفهما

لأرى ما يراه الغريقُ

قُبيلَ السُّقوطِ الرَّهيبِ إلى القاعِ

لا شيء في جعبي

غير حق من الذكريات

أكبُّها في جروء المنافي

فتخضّر....

مثل هبة ریح خفيفة

عبرتُ

وكنت أحاذرُ ألا يراني أحد

أحاذرُ ألا يراني الصبي النحيلُ

ليلقي عليّ السؤالَ المباحثَ

من أنت!

كنتُ أبدو كفزاعةٍ ضربتها الزوابعُ

عيناَيَ جاحظتانِ

ورأسي يغطيه شوكٌ كثيفٌ

ولا شيء في يديّ عليّ

لذا

رحتُ أدخلُ في هيئة الرّيح....

في الباب رجّ الحنين ضلوعي

وحاولتُ أن أتماسكَ

همهم قلبي فكَمَمْتُه بالأصابعِ

ثمّ مشيتُ وراء الصَّبِيِّ

الذي راح يخفُّقُ مثل الحمامةِ

في غيمة الطّينِ

في غيمة الطّينِ

في الفكرة الخَلْبِيَّةَ للبيت

رحتُ أعانقُ ناري القديمةَ

أبكي وأضحكُ

أرقصُ محتفلاً بدماري

... ومنتخذاً هيئة الرّيحِ

رُفِرْتُ كَالْهَذِيانِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَبَلَّلْتُهُ بِذَهَوِي

هَنَّاكَ

سَقَطْتُ عَلَى أَرْضِ رُوحِي

رَأَيْتُ الَّذِي لَا يَرَاهُ الْمَسَافِرُ فِي الْحَلَمِ

إِلَّا إِذَا جُنَّ فِي الْيَقَظَةِ

رَأَيْتُ الَّذِي قَدْ يَرَاهُ الْمَطَرُ

وَهُوَ يَجْرَحُ بِالْحَدَقَاتِ

الصَّغِيرَةِ لَحْمِ التُّرَابِ

وَيَأْوِي إِلَى رَحِمِ الْأَرْضِ

حِينَ أَفْقَتِ وَجَدَتْ جَحِيمِي

أَمَامِي

وَمَا كَانَ فِي سَلَّتِي

غَيْرُ قَشْرِ الرَّؤْيِ

وحُطَامِ القَصَائِدِ

ليلاً صغيراً على تِلَّةٍ

كنت أضرب في التَّيِّه

ما كان بيتي معي

كان يخفق كالنَّجم فوق مياه الظَّلَامِ

ودليلي إليه صَبِيٌّ تشاغل عَنِّي

بالرَّكْضِ خلف العَصَافِرِ

صحت اقترب

أيُّها الأرنبُ المتلصِّصُ

خلفَ كلامي

غير أنَّ الصَّبِيَّ

وقد تعبت قدماه من اللعب

اندسَّ تحت اللِّحَافِ

وصار يراقب عينَ السُّراجِ

الضَّريرة وهي تنوسُ

فيصِرُ أجنحةً لخفافيشٍ هائلةٍ

تعبُرُ البيتَ

أغمَضَ عينيه حتى ينامَ

ولكنّه حينما سمع الأمَّ

وهي تحدثُ روحَ الظَّلامِ

أفاق من النَّومِ

بين الخيالِ وبين الحقيقةِ

شاهدَ أفعى ممدةً

وهي تُنصِتُ للأُمَّ

(نام الجميع فنامي

ارجعي يا مباركةً نحو ركنكِ

في السَّقْفِ)

تلك الزَّيارة

أرعبته

ولكنّها فتته فصار ربيب أفاعٍ

يحادثها بالإشارة

ويركّض في إثرها

ليلمّ مناديلها القزحيّة

من مكمني بعد خمسين عاماً

أرى الأمّ تمسكني

من ذراعي

وتسألني بحنان:

وأنت أما نمتَ يا ولدي؟

فيردّ الصبيّ الذي فيّ

تعبانٍ يماً

وعطشانٌ عطشانٌ عطشانٌ

ها إنّني في شعاب الجحيم أدور

وريح السّموم تحُثُّ عظامي

بعد خمسين عاماً

تراني اكهلتُ؟

أنا ما كبرتُ

ولكنني ربّما يبست قامتي

فتساقط منها حصي

وترابُّ

ربّما طال شعري

وحطّ على كتفيّ كسقفٍ من (البوصِ)

من مكمني بعد خمسين عاماً

أراني وقد صرت بيتاً عتيقاً

ببومٍ على غرّي

وبابٍ سميكٍ خشب

مرّةً وعلى مفرّقٍ غامضٍ

التقاني صبيُّ

بعينين حائرتين

وقنزعةٍ من ذهب

فحدّق في وحدّقُ فيه

ولكنّني حين طوّقته بيديّ

احتجّب.

المشهدُ السُّكَّريّ

في الطّريق إلى البحر صادفتُ

رفّاً حَجَل

حجلٍ أصفرَ ومنقّط

بدوائر سوداءَ

في ذلك الموقع المرتفع

من سماء البلادِ

على كتِفِ القدسِ

يَمَكُنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَأَمَّلَ

بَطْنَ السَّحَابَةِ

وَهُوَ يَمُرُّ عَلَى السَّرَوِ

أَبْيَضُ أَبْيَضٌ مِثْلَ الْحَلِيبِ

وَيَعْلُوهُ بَعْضُ النَّمَشِ

أَنْ يَرَى مِنْ بَعِيدٍ

يَدَ الْبَحْرِ

وَهِيَ تَلَوُّحُ مَزْدَانَةٍ بِالْخَوَاتِمِ

وَالْبَرْقُ يَقْطُرُ مِنْهَا

كَمَا يَقْطُرُ الضُّوءُ مِنْ حَدَقَاتِ الْقَمَرِ

وَإِذَا التَفَتَ الْمَرْءُ لِلْقَدْسِ

يَمَكُنُ أَنْ يَتَرَأَى لَهُ فَرْسٌ بِجَنَاحَيْنِ

يَلْتَهَبَانِ مِنَ النُّورِ

لَكِنَّهُ لَنْ يَرَى أَيَّ شَيْءٍ هُنَاكَ

لأنّ الضياء الشديد

سيخطف عينيه

في ذلك الموقع المرتفع

كان قلبي ينطّ ويلعبُ

مثل الأرانبِ

والبطّ

والحجل الل.....

آه إنّني نسيْتُ الحكايةَ

فالمشهد الحارق الطائش السّكّريّ

يرجّ الكلامَ

ويعبثُ بالسّارد المتنبّه

ليطيش إلى فلواتٍ بعيدة

مثلما يفعلُ الشّعْر وقتَ القصيدة

كان يمكن لي أن أرى الأرض أكثرُ

وأشَمَّ الحليب الذي يتفجَّر

في عروق الحجارَة

والعشبِ

والتَّينِ

والصَّبرِ

لولا الظَّهور المفاجئ للجندِ

واللكنةِ المضحكةِ

روح خ خ خ خ خ خ خ خ

رحُتْ

لكنَّ قلبي

ظلَّ هناك ينطَّ ويلعبُ

مثل الأرنابِ

والبطَّ

والحجل ال.....

آه إنّي نسيْتُ الحكايةَ ثانيةً

فاعذروني.

نقطة هاربة

الهواءُ المغنيّ

يفكُّ جدائله في الحقولِ

ويُسندُ رأسه

على حجرٍ

ويُصفّرُ

السحابةُ حمراء

والسّرُّ أخضر

الوقتُ في آخرِ الصيفِ

والماءُ يلمعُ في عُنقِ الأرضِ

كالسيفِ...

الماءُ أفعى رأنا

فحدّقَ فينا

ودقَّ التُّرابَ

وخوّصَ في السَّهْلِ حتّى تعكَّرَ

على طَرَفِ الماءِ

تظهرُ بعضُ البيوتِ الصَّغيرةِ

مثلَ السَّلاحِفِ

شرقاً

نرى شرشفَ القمحِ

وهو يرفُّ على التِّلِّ

أصفرَ

أصفرَ

فوقهُ نقطةٌ تتحرَّكُ هاربةً

لفتى هاربٍ

حيثُ نسمعُ في الأوديةِ

رعدَ والدِه يتكسّر

وهو يُنادي عليه.

ومن شعراء العصر الحديث، الشاعر الفلسطيني محمد حلمي الريشة، في مطولته الشعرية: "زنبقة وألفُ عُصفُورٍ".

يستنكر الشاعر معاناة القدس في وسط الصمت العربي، كأن العرب نيام، أي نوم هذا، فكيف ينام من أخته في الأسر تبكي، واعتداءات المستعمر لا تتوقف، طاحونة الموت تلتهم حشاها، مستوطنة تبتلع الأرض، ونفق يحفر تحت المسجد كي ينهار، وطفل يبكي من روع، وعجوز تجلس على أرض الحاجز، تنتظر المحتل ليسمح بالدخول أو الخروج. والعرب في دعة العيش يراوهم حلم لا يأتي.

.1

فِي الْأَرْضِ زَنْبَقَةٌ تُشْكِلُ حَالَهَا بِالْجُرْحِ

تَغْسِلُ حُزْمَتَهَا بِاللَّوْمِ،

وَالْوَقْتُ الْمُبَاحُ عَلَى نَوَافِدِهَا،

وَسَاحَاتِ اخْتِصَارِ الرُّوحِ

فِي نَزْفٍ جُنُونِيٍّ

تَظَلُّ عَلَى سِيَاكِ الرُّعْبِ

تَنْشُرُ ظِلَّهَا

مَا بَيْنَ لَحْمٍ فِي الْعَرَاءِ وَأَلْفِ عَامٍ

مِثْلَ عُصْفُورٍ تَسَاقُطُ وَإِقْفَاً

وَالسُّورُ يَنْمُو مِثْلَ مَدِّ الْيَاسَمِينِ عَلَى الشَّوَاهِدِ..

أَيُّ زَنْبَقَةٍ يُدَوِّي لَوْهَمُهَا الْمَرْصُودُ

فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ،

ثُمَّ تَدْخُلُ فِي غُبَارِ الصَّيْدِ شَاحِبَةً،

وَشَاحِدَةً سَوَاعِدَهَا عَلَى قِمَمِ الْغَزَاةِ

تَسَاقَطَتْ أُسْطُورَةُ النَّقْشِ الْقَدِيمِ

تَفَجَّرَتْ كُلُّ الْمَوَاوِيلِ

الْبِلَادِ،

وَحَاكَتِ النَّيْرَانُ مَوْسِمَهَا

بِأَسْمَاءِ السُّؤَالِ الْمُرِّ

فِي صَمْتِ الْقَبَائِلِ.

يرنو الشاعر إلى المستقبل، ينتظر مخاض القضية، ويأتي المولود على أسوار القدس،
لتحرير المدينة المقدسة، فالله أكبر من جبروت الظالم، فمهما طال العذاب، ومهما عظم فالله
يوماً سيتنصر للمظلوم، وتحرر المدينة ويعم السلام، ويأتي المطر ليغسل الرجس عن
المدينة.

.2

فِي الْأَرْضِ طُوفَانُ الْمَخَاضِ

الْعَتَمِ

شَهَقَةٌ وَرَدَّةُ الْأَسْوَارِ،

وَالْقَمَرُ الْمُرْكَبُ فَوْقَ نَاصِيَةِ الضَّحَايَا..

فِي الْأَرْضِ جُرْحٌ لَا يَغِيْبُ،

وَشُرْفَةٌ تَرْنُو إِلَى الْجَسَدِ الْمَمْدَدِ فَوْقَ حَقْلِ اللَّهِ هَاتِفَةً:

بِأَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ كِبَائِرِهِمْ،

وَأَكْبَرُ مِنْ مَسَاحَاتِ الْيَدِ السَّوْدَاءِ؛

تَعَبْتُ فِي عُيُونِ الضُّوءِ

تَسْرِقُ رِيَشَ طَائِرِهَا..

خُذُوا عَنِّي حِجَارَتَكُمْ

خُذُوا عَنِّي شِتَاءَ الشُّوقِ

سَهْمَ الْبَرْقِ

فَصُلًّا مِنْ وَصَايَاهَا.

يرسم الشاعر لوحة غنائية جميلة لقطرات المطر الخفيف في سهول القدس، عندما تعانقها أشعة الشمس الذهبية، فيعيد الحياة للمدينة من جديد، بعد أن أحرقت، فقطرات المطر ترمز للحياة وللأمل، فالأمل يداعب قلب الشاعر، فمهما حلك الظلام، فالنور يبدد الظلمة، والماء يطفى نار الظلم مهما عظم، لتغني الصخرة الشريفة ألحان الحب والحياة، وتداوي الزنابق جراح الطيور.

.3

تَتَلَا الْقَطَرَاتُ فِي السَّهْلِ الْمُهَيَّأِ

- لَحْظَةً الْإِسْرَاقِ -

تَنْقُشُ لَوْنَهَا فِي أَوَّلِ الْأَغْصَانِ؛

كَيْفَ يَصِيرُ هَذَا السَّطْحُ وَرَدِيًّا،

وَأَعَمَّقَ مِنْ مُحِيطِ النَّارِ

أَسْرَعَ مِنْ وُضُوحِ الشَّمْسِ

فِي صَيْفِ خُرَافٍ

لِيُنْشُرَ قُبَّةَ الشُّهَدَاءِ

فَوْقَ رُحَامِ هَذَا الْحَطُورِ؟

كَيْفَ يَمُرُّ هَذَا الْعَيْثُ مُلْتَحِجًا

بِجَمْرِ النَّجْمِ

مُلْتَحِفًا بِأَقْمَارِ،

وَلَمْ تَنْزِفْ سِوَى لِلْأَرْضِ زَنْبَقَةً

تُشَكِّلُ وَجْهَهَا بِالْجُرْحِ

تَغْسِلُ حُزْنَهَا بِالْوَعْدِ

تُبْقِي لِي بَقَايَاهَا؟

لم تسمح القدس للضحيج أن يمحو صفوها، وإن كانت جراح القلب ملتهبة،
وشظايا اللؤم لا زالت، والنار تحاصر القدس وتحبس الهواء، فإن إرادة القدس لا زالت
قوية، وبإذن الله سوف تعافى من جراحها، وتبقى الحياة، وتبقى للحياة رمزاً خالداً،

فالسحب الرمادية رمز للأمطار التي تبقى الحياة في القدس، فالعصافير تخلق فوق ولائم التحرير.

.4

طَوَّقْ عَلَى شَفَةِ الضَّجِيجِ،

وَلَمْ يُسَافِرْ حُزْمُهَا فِي مُتْنِهَا؛

فِي الصَّدْرِ أَكْثَرُ مِنْ شَطِئَةٍ

فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ كَثَافَةِ مَعْرَكَةٍ؛

هَذَا جُنُونُ النَّارِ يَرُشُّ أَلْفَ عُصْفُورٍ

يُحَاصِرُ أَلْفَ خَاصِرَةٍ،

وَيَحْطُو حَوْلَ دَائِرَةٍ

لِيَكْتَمِلَ الْهَوَاءُ الصَّلْبُ فِي قَفْصٍ

مِنَ الْأَصْفَادِ وَالسُّحْبِ الرَّمَادِيَّةِ..

فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ وَمَجْزَرَةٍ

يُصَادِفُ عَشْقَهُ الْمَنِيِّ

فِي كُلِّ اخْتِلَافِ الصَّوْتِ

فِي قِصَصِ خُرَافَةٍ؟

الْجَوُّ أَقْسَى مِنْ نَشِيدٍ لَا يُقَالُ،

وَصَدَى الرَّصَاصِ يَقُولُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ

دَوْلٌ مِنَ الْإِسْفِنَجِ أَنْ تَحْمِي

بِكَارَتِهَا الْأَخِيرَةَ مِنْ صَدَاهُ..

طَوَّقٌ عَلَى شَفَةِ الْحَيَاةِ،

وَأَلْفُ عُصْفُورٍ،

وَزَنْبَقَةٌ تُقِيمُ وَلَائِمَ الْعُرْسِ الْكَثِيرَةِ

كَيْ يُسَافِرَ جُرْحُهَا فِي مُتْنِهَا.

في الأرض ما لا ينتهي، يظل الأمل بالتححرر يسيطر على المدينة وعلى الشاعر، فإن الشعب الفلسطيني يأخذ ناره من أرضه، فحلم تحرير المدينة ينير طريق الجهاد المقدس، فرغم الضعف الذي رمز الشاعر له بعبارة "تشقق الأقواس" إلا أنه هذه الأقواس تشع نوراً وناراً، فرائحة الأزهار البرية دلالة على الحياة، فما دامت هناك حياة فالأمل بالتححرر موجود، مهما حاول الظالم من إطفاء هذا الحلم، واستخدم الشاعر الوشم كدلالة على الثبات والديمومة، فماذن المساجد تكبر للحياة، ويتساءل الشاعر: هل النعاس غلب

الصراخ في القدس؟ وطالب بإيقاظ الحزن القديم، كي يحيى الجهاد من جديد، لتبقى الحياة، فالأموات لا يحملون أحلام الطفولة.

.5

فِي الْأَرْضِ مَا لَا يَنْتَهِي..

هَلْ تَحْمِلُ الْأَحْلَامُ لَيْلَتَهَا نَهَارًا

فَوْقَ سُورِ الْقُدْسِ

كَالْقَمَرِ الْأَخِيرِ

يُشِعُّ فَوْقَ تَسْقُفِ الْأَقْوَاسِ

فَوْقَ مَسَارِحِ الْأَزْهَارِ عَابِقَةً

بِأَوْصَافِ النَّدَى الْوَرْدِيِّ

تَسْحَبُ قُرْصَهَا لِلْمَجْدِ مَوْشُومًا

بِأَسْمَاءِ الْعَصَافِيرِ الَّتِي مَدَّتْ دَوَائِرَهَا الطَّرِيقَةَ

حَوْلَ رَنْبَقَةٍ تُطَارِدُ قَاتِلِيهَا

فِي شُمُوحِ مَا ذِنِ التَّكْبِيرِ؟

هَلْ خَرَجَ الصُّرَاخُ إِلَى النَّعَاسِ،

وَأَيُّقَطَ الْحُزْنَ الْقَدِيمَ؟

لَا تَحْمِلُ الْأَمْوَاتُ أَعْصَابَ الطُّفُولَةِ،

أَوْ جِرَاحَ غَزَاةِ الْأَرْضِ الْأَسِيرَةِ..

فِي الْأَرْضِ مَا لَا يَنْتَهِي

عِطْرٌ مِنَ الْأَضْوَاءِ يَكْسِرُ حَالَةَ الْعَنَمِ الْكَبِيرَةِ.

وهنا يستنهض الشاعر همم العرب، ويدعوهم إلى سباق التحرير، فمن الذي سيسجل شرف التحرير، من سيخلد اسمه في التاريخ. والريشة هو شاعر من نوع آخر يحمل هم المدينة عن قرب؛ فالقدس كالزنبقة تعيش لوحدها رغم كل المآسي حولها تسقى من دماء الشهداء وتلوم إخوانها المتقاعسين عن الدفاع عنها، فالجرائم دائرة فيها من قتل للعصافير (الأطفال) ومن حصار للمدن ومحاولات اليهود المتعددة لتهويد المدينة وتزييف تاريخها، ولكن قوة الحق والإيمان الذي تملكه القدس يجعلها تقاوم وتقاوم لتظل هي الأقوى، فهي على يقين بأن الفجر قادم لا محالة، وسيأتي فجر القدس لبيد عتمتها، فالله أكبر من جرائم المحتل ومن أفعالهم، ويوجه شاعرنا نداء للمحتل ليحمل ما تبقى له ويرحل عن وجه القدس، فما يحدث في القدس يجعل المرارة لا تغادر حياة الشاعر، ويتأسف شاعرنا لأحاديث السلام العابرة التي لا دخل للمدينة فيها. ورغم كل محاولات العدو لتقطيع أواصر المدينة عن باقي المدن إلا أنها تظل هي حلقة الوصل بين كل المدن جسدياً وروحياً.

مَنْ يَكْتُبُ السَّطْرَ الْأَخِيرَ

لِقِصَّةِ الْمَوْتِ الْكَبِيرَةِ؟

تذوق الشاعر طعم المرارة، التي تعانيها القدس، ويعانيها أبناء العرب، فيسأل السؤال المرّ، هل غدا العرب يستلذون بطعم المرض؟ هل نسمح للأعداء أن يفقدوا الخوف من مقاومتنا؟ فالإجابة تطرح نفسها، بأننا هنا على أنفسنا وهنا على أعدائنا.

هَلْ وَحَدَّنَا فِي الدَّاءِ يَا كُلِّي الَّذِي

يَنْقَطِرُ الْإِزْثَ الْقَدِيمَ؟

طَعْمُ الْمَرَارَةِ فِي السُّؤَالِ،

وَفِي السُّؤَالِ إِجَابَةُ النُّطْقِ الْأَثِيمِ..

كَمْ أَعْرِفُ الْأَلْعَابَ وَالشَّهَوَاتِ مَضْعُوقًا،

وَفِي الْقَلْبِ الْجَحِيمِ..

ضَاقَتْ تَفَاصِيلُ الْجُنُونِ، وَأَيَّقَطَنِي

لُعْبَةُ الْكَلِمَاتِ فِي شَقِّ الْمَالِكِ..

هَلْ وَحَدَّنَا فِي سَاعَةِ الطَّاعُونَ

نَأْذُنُ لِلْخُصُومِ بِأَنْ يَفْرُوا نَحُونَا؟

هَلْ وَحَدَّنَا؟

مَا أَسهَلَ الإِيقَاعَ فِي مُلْكِ السَّبَايَا؛

أَعْلَى مِنَ الْقَسَمِ / الحُطَامِ،

وَمِنْ صَفَاءِ تَفَكُّكِ الدَّمْعِ الْحَرَامِ..

وُلِدَتْ مِنَ الْمَوْتِ الْمَرَايَا..

يَا وَحَدَّنَا فِي الْغَابِ قُلُّ لِي:

كَيْفَ تَنْتَصِرُ السَّبَايَا؟

يسأل الشاعر العربي إن كان يعرف لون الحقيقة، أم إنه ظل في السراب يسير، أو إنه يدرك مدى المخاطر التي تهدد المدينة المقدسة، إلى متى يسيطر على بني العرب الخمول؟ فوا أسفاه على العروبة والعرب، لم يعد للنخوة فيهم سبيل، لا يعرفون سوى التحسر على ما مضى.

هَلْ صِرْتَ تَعْرِفُ لَوْنَ جِلْدِكَ

أَيُّهَا الظِّلُّ الْمُتَتِّ؟

هَلْ صِرْتَ تَعْرِفُ نَجْمَةَ الرِّيحِ / الخُرَافَةُ؟

هَلْ صِرْتَ تَعْرِفُ مَوْجَةَ النِّسْيَانِ

مِشْنَقَةً لِرَبَقَةٍ

وَمَقْصَلَةً لِأَلْفِ عُصْفُورٍ مُشْتَّتٍ؟

هَلْ صِرْتَ تَعْرِفُ كَيْفَ يَسْرِقُ

أَوَّلُ الْبُرْكَانِ حَنْفِي

ثُمَّ يَمْضِي شَاكِيًا بَيْنَ الرُّكَّامِ؟

أَسْفِي

عَلَى

أَسْفِي

عَلَى

الظِّلِّ السَّلَامِ.

يغرق الشاعر في السؤال، وكثرة الأسئلة هنا تدل على أن وضع العرب في تردي، فلم يعودوا عرباً، وأي عرب يكونون وقدسهم تغتصب، وحرمتها تنتهك، وباحاتها تدنس، هل سيسطر التاريخ مجداً للعرب؟ ويعيد المجال للسباق العربي مرة أخرى، من سيفوز بلقب محرر القدس من جديد؟

.9

مَنْ يَكْتُبُ التَّارِيخَ بَعْدَكَ؟

مَنْ يُؤَرِّخُ لِلدُّخَانِ؟

صِفْرٌ عَلَى سِفْرِ السَّوَادِ،

وَنُقْطَةٌ فَوْقَ الْمَكَانِ..

مَنْ يَمْسَحُ الْجُرْحَ الْجَدِيدَ، وَيَسْتَعِيدُ الذَّاكِرَةَ؟

فِي الْقُدْسِ قَوْسٌ لِلْعُبُورِ يَمُدُّهُ لِلنَّاصِرَةِ.

مَنْ يَكْتُبُ السَّطْرَ الْأَخِيرَ لِنَجْمَةٍ فِي الْحَاصِرَةِ؟

مَنْ

يَكْتُبُ

السَّطْرَ

الْأَخِيرَ

لِنَجْمَةٍ

فِي

الْخَاصِرَةِ؟

(محمد حلمي الريشة : الأعمال الشعرية - الجزء الأول، وزارة الثقافة وبيت الشعر، رام الله، 2008م)

أيضاً أَسْتَشْهَدُ بَعْضَ نصوصِ تَجَلَّتْ فِيهَا مَدِينَةُ الْقُدْسِ، فَذَا الشَّاعِرِ الْفَلَسْطِينِيِّ سَامِي

مَهْنًا يَقُولُ:

الْقُدْسُ تَحْمِلُ الشُّهَدَاءَ عَلَى رَاحَتَيْهَا

مُتَذَنَّةٌ مَهْمُومَةٌ تَذُوبُ

كَشْمَعَةٍ فِي مَعْبِدٍ قَدِيمٍ

فَلَا حَيَاةً... لَا صَلَاةً

بَلْ صَدَى تَكْبِيرَةٍ

تَجُولُ فِي الْمَدَى

تَعَانِقُ الْمَهْمُومِ

فَتَحْمِلُ الرَّجَاءَ

ومركعٌ في باحةِ الأقصى يقومُ

ويلحقُ الرسولَ للسماءِ

والقبةُ الملساءُ كالقواذِ

دقاتُها الصّلاةُ

هل علّمتُ أحياءنا معنى الحياة؟

وعلّمتُ أمواتنا معنى الصمود؟

من علّم الأيتام درسا في الجدود؟

كي يكسروا القيودَ

ويطبعوا الأملَ

فوق الدروبِ النافيةِ

حقاً لأقدام اليتيم الحافيةِ

يا شهداءنا

دماؤكم دماؤنا وجرحُكم شفاؤنا

تعمّدوا بدمعنا وعمّدوا أحياءنا

وعَلِّمُوا الْحَيَاةَ أَنْ تَعِيشَ

وَقَرِّبُونَا لِلسَّمَاءِ

يَنَاضِلُ الشَّهِيدُ فِي الْمَمَاتِ

فِيخْلُقُ الْحَيَاةَ

وَالشُّهَدَاءُ يَرْقُدُونَ، يَحْمِلُونَ

وَيَحْمِلُونَ الْقُدْسَ فِي أَرْوَاحِهِمْ

يُزْفَرُونَ فَوْقَ هَذِي الْأَرْضِ فَجَرًا يَقْرَءُونَ الْفَاتِحَةَ

فَيَنْزِلُ الْمَسِيحُ عَنْ صَلِيْبِهِ لِيَمْسَحَ الْجُرُوحَ وَالْعَذَابَ

وَيَنْزِلُ الرَّسُولُ مِنْ سَمَائِهِ فَيَطْلُعُ النَّهَارُ مِنْ غِيَابِ

وَيَحْلُمُ الشَّهِيدُ فِي التَّرَابِ

أَنَّهُ وَرْدَةٌ تُغِيْبُ فِي الضَّبَابِ

حِينَئِذٍ كَي تَعُوذَ، تَجَدِّدُ الْعَهْدَ

فَهَذِهِ الْأَرْضُ اسْتَوَتْ بَيْنَ الصُّمُودِ وَالْوَعْدِ

يَفَاوِضُونَ الْوَقْتَ كَي يَأْتِيَ بِمِيعَادٍ جَدِيدٍ

ولا جديدَ تحت شمسِ القدسِ، لا جديدُ

سوى صمودِ الأرضِ رغم وطأة التاريخِ

رغمَ ما يقولُ النصُّ عن ربِّ الجنودِ

سنكتبُ الأسماءَ فوقَ كلِّ بابٍ

يوسُ أورشليمُ ايلياءُ بيتُ المقدسِ المنشودِ

مدينةُ الإسراءِ والمعراجِ

قيامةُ المسيحِ

أرضُ أصداءِ الصُّمودِ

فلا جدارٌ أو حدودُ

تُضيِّقُ المكانَ

تُضيعُ الزَّمانَ والوجودَ

القدسُ تبقى القدسُ

أينما تقنطرتُ بوابةُ السَّماءِ

من دمائِ الشُّهداءِ في محافلِ الشُّهودِ

نسمي الأبواب أسماء جديدة

ولا تظل سوى أسمائنا تحت سمائنا

باب الخليل والجليل

باب دمشق والكنانة

باب المغاربة

باب جنودنا المحاربة

باب الجزيرة والعراق

وباب من عانق قدسه بدمعه المراق

على اسمه نكتب بالدماء

قدسنا أمانة الأعناق

يا شهداءنا رجوعنا اقترب

باب أخير بانتظاركم

باب فلسطين العرب

يظهر الشاعر مهنا وهو من شعراء الوطن الذين تركوا صبغة خاصة بإبداعاتهم، والذي يكتب من غربة داخل وطنه مما أثار في حروفه هذا الحضور في قدسنا بل لم يمنعه ذلك من أن يخاطب عاصمة دولته وشهداءها فالقدس كما يراها الشاعر هي من صنعت الأموات ومن أكدت على معنى الصمود حينما كانوا يقاتلون لأجلها وهي من دفعت الأحياء لتذوق معنى الحياة. كل هذا لأجل كسر القيود وزرع الأمل في النفوس. وهنا يوجه الشاعر خطاباً إلى الشهداء داعياً إلى أن يطهروا الأحياء من دمائهم إشارة صريحة منه عن تحاذل الكثير من العرب والعالم عن الدفاع عن القدس وفلسطين فالشهداء بنظره هم المقدسون وهم من يخلقون من دمائهم الحياة للأحياء وكل هذا لأجل القدس ونلاحظ بأن الشاعر يرفض المفاوضات مع العدو ويراهم مضيعة للوقت فلا جديد في المدينة إلا نور الشهداء وصمود المدينة ويذكرنا الشاعر بتاريخ القدس الأثري والديني حتى لا ننسى ويرسل للشهداء بباقة أمل بقرب العودة فلولاهم ما كان لأحد أن ولو بمجرد الحلم أن يعود لأرضه ووطنه.

وهذا الشاعر العراقي علاء الأديب وهو من أبرز شعراء العراق المعاصرين يقول:

في سبيل الأمنيات

من وحي أبطال ثورة الحجارة

إلى رفاق الحرف في فلسطين الحبيبة.

يا رفاقي..

يا رفاق الأمنيات..

للأمانى.. بابها النائي ودرب..

ملأته العقبات.

لو ركبنا كل صعب..

وتجدينا جسام النائبات..

وسلكنا ذلك الدرب فأنا

سوف نرقى من حياة لحياة

يرى الشاعر أن الوصول للأمنيات لا بد له من عمل دؤوب، فيخاطب الشاعر إخوته في فلسطين، ويطلب منهم العمل المتواصل جنباً إلى جنب مع أخوتهم العراقيين، من أجل تحرير القدس، فالطريق إلى التحرير مليء بالعقبات والصعاب، ولكن هذه الصعاب تروض ويتم تخطيطها بالجد والعمل، فالأمانى وحدها لا تكفي، فيجب أن لا ننتظر من أحد خلاصنا، فلا يحس بمصابنا إلا نحن .

يا رفاقي ليست الأحلام درب المعجزات

لا ولا الأقلام تكفي..

وبليغ الكلمات

دونها الأيمان أنا..

سوف نمضي بخطانا..

فوق هام الأزمات

دوننا الأيمان أنا..

سوف نرقى من حياة حياة

سيصير الحلم أفيون همم

وكذبوا سوف يضحى بين أيدينا القلم

وهراء ستصير الكلمات

رغم أن الأماني والأشعار لا تجدي نفعا في مصابنا، إلا أن الشاعر يدعونا للتمني
ويعتبره محفزا للعمل الدؤوب، فيشبه الحلم بتحرير الأرض بالأفيون، ولكن الأفيون
الحقيقي يعطي متعاطيه طاقة سلبية، إلا أن أفيون الكلمات يعطي طاقة إيجابية من شموخ
الهمم والعمل والسعي.

يا رفاقي

ليس ما نرجوه أمرا مستحيلا

رغم أنّ الدرب للمجد عصيب وطويل

رغم أن الليل داج والرياح..

كذئاب البرّ تعوي في البطاخ

سوف نمضي..

ولأن الريح لن تقوى على

كسر جناح لعظيم..

شاء أن يمشي على درب الكفاح

فدجى الليل سيمحوه الصباح

إن تحرير الأرض ليس أمرا مستحيلا، فإن الطريق طويل ومليء بالعقبات، والليل
حالك، إلا أن هذه العقبات ستذلل بأيدي المrapطين على الكفاح، فيأتي الصباح مفعما
بالأمل، وتتححر الأرض من الظلم والاستعمار .

يا رفاقي..

ربما تدمى خطانا..

فوق درب الأمنيات

ربما تقسو علينا الأزمات

غير أنا سنداوي بالجراحات الجراح

وسنمضي..

نقهر الليل.. وإصرار الرياح

طريق التحرر يعرضنا للجراحات، فإن هذه الجراحات لن تكسر عزيمة المجاهد، فإنه
يداوي جراحه براحتيه الطاهرة، ويبقى المجاهد في مسيرة النضال حتى دحر الاحتلال
وظلماته ليأتي الصباح الجميل، ويهنا الناس بالعيش الكريم .
يا رفاقي..

ربما نقتل يوما..

قبل أن نقرع باب الأمنيات

ربما نصبح بعض الذكريات

فعلى الدرب ذئاب

عندها القتل مباح

فسيمضي

يهتدي الجيل بآثار خطانا

يحمل الأيمان للمجد سلاح

فوق درب الأمنيات

وسنرقى

من حياة الحياة

قد نموت في طريق التحرر، لأن هذه الطريق محاصرة بالذئاب التي تفترس كل مدافع، لكن علينا أن نمضي في هذه الطريق مهما حملت من متاعب، ليوصل أبنائنا بعدنا مسيرة النضال حتى التحرير، فسلحنا الأمل يكمن في الإصرار على الهدف ومواصلة الكفاح. نشرت في جريدة (الجمهورية) العراقية بعددها (6771) في 30/ آذار/ 1988 وتم الاتصال بشاعرنا العراقي لتوثيق قصيدته ببحثنا في 2/ 7/ 2013.

والشاعر علاء الأديب هنا يحمل هم وطنين لا وطن، فالعراق وفلسطين توأمان في الوجد ويطمئن الشاعر أن تتحد الأمان وأن تتحقق الأحلام فيتمنى كذلك أن نكون يدا واحدة لأن الريح لا تكسر هامة الأقوياء المتحدين ويدعو كذلك إلى الإيمان بقوة الأحلام فالظلام لا بد وأن يبده فجر مشرق.

وهذه متألفة أخرى هي الشاعرة اللبنانية ندى بجاني تقول في نص لها حمل عنوان "مدينة الولاء" وكان خصص للبحث وتم رصده في 8/ 6/ 2013 من خلال لقاء خاص:

سَطْرِي يَا قَدْسُ أَسْطَرَّ الْخُلُودِ

مَدِينَةُ الْوَلَاءِ رَايَةُ النَّصْرِ مِهْرَجَانُ الْوُجُودِ

وَاحْفِرِي فِي الدَّهْرِ عَرْشًا يَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ

بِعَشْقِ الشَّهَادَةِ مُجَاهِرًا يَجُوبُ كُلَّ الْخُدُودِ

رَايَةُ النَّصْرِ نَجْمَةُ الدَّهْرِ لَا تَنْطَوِي

كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ مَظْهَرٌ لِلْعَسَجِدِ

وَإِشَارَاتٌ تُرْفَرُ بِالْمَجْدِ

مَضْمَخَةٌ بِدِمَاءٍ تَعْتَقَتْ فِيهَا دِمَاءُ الْجُدُودِ

في عنوان القصيدة إيماء لأهمية القدس الدينية (مدينة الولاء) فتقر الشاعرة بأن القدس تسلب لنفسها الولاء من عيون الناظرين، فتتجلى فيها رؤى العشق الألهي، وعشق الشهادة، فتقف على أبواب القدس مسلمة الروح إلى رب العزة، وتسجل اسمها مجاهدة تدافع عن المقدسات، تبحث عن مجد التحرر، فهي ترفض بقاء القدس مستعمرة إسرائيلية .

كَتَبَ الدَّهْرُ وَأَنْتِ نَبْضُهُ وَعِزُّهُ

وَأَنْتِ سَرْمَدِيَّةُ الْمَقَامِ مَا تَحْجُبُكِ عَظَمَةُ السُّدُودِ

فَاسْطَيْعِي يَا جَنَّةَ الْأَرْضِ وَأَقِمْي لِلْفِدَاءِ عُرْسًا

يُحَاكِي عَرَائِسَ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةَ الصُّمُودِ

طُوفِي بِقُرْبَانِ الشَّهِيدِ وَادْرِي فِي الْمَجْدِ وَالْوَجْدِ فِي مَنَابِتِ الْإِبَاءِ الْمَقْصُودِ

وَارْشِفِي جَوْهَرَ الْمَنَاهِلِ وَاسْتَقِي شُمُوحَ الطَّرُودِ

فَالنَّصْرُ صَلَّى فِي سُمُورِ رُؤَاكِ وَزَعَرَدَاتِ نَسَائِكَ

وَابْتَهَلَ رِصَاصُ الْأَفْرَاحِ طَوْعًا

فَتَبَاهَتْ بِالْبَارُودِ جَنَائِنُكَ

تظهر الشاعرة في هذا المقطع أثر الجهاد وأهميته، وتستطلع المستقبل الذي تصبح فيه القدس حرة طليقة، فترسم عرساً للتحرر تتغنى فيه القدس بشهائها، وتؤكد أن الملائكة في السماء تحتفل بتحرير القدس، فالنساء تزغرد والرصاص يسجل أسمى آيات الفرحة بعد التحرر .

يبدو لي أن الشاعرة تصرخ بعنف في وجه المحتل وتدعو القدس إلى الثبات فهي من تزين بلاد العرب وهي عروس البلاد فالشهداء الذين يضحون بأرواحهم لأجل المدينة يبنون للقدس مجداً آخراً وصارت المدينة على موعد مع النصر إلى آخر النص..

وفي قصيدة الشاعر الفلسطيني الشاب أحمد أيوب في لقاء توثيقي مباشر خاص بالبحث 12 / 7 / 2013، يقول تحت عنوانها "إيلياء الروح":

إشراقةً برياض الحسن باكيةً تلك الديار بعين الشوق حوراءُ

كانت تلامس أنفاساً لها سكبت غرُّ المشاعر في الضراءِ سراءُ

تبني من العشق ترتيلاً لمن رغبوا أن يلتقوا بنعيم الوجدِ حسناءُ

فاصقل سيوفك لا تخشى بها صنماً إن الرجال لنور الفجر قرأءُ

يهتز بالبوح من رسموا لها قدرا لا يشني قلمٌ مسته دهماءُ

يبدأ الشاعر قصيدته بمكانة القدس الرفيعة في قلب كل عربي ومسلم، لما لها من مكانة عالية في السماء، فيشبه الشاعر القدس بالفتاة الحسنة التي وقعت في الأسر، وتنتظر من فارسها القوي الشجاع خلاصها .

كن أنت يا وجعاً في نايتها لهفأً صوتاً يزلزل في أنفاسها الداء

عانق بشوقك لا تأسى لمن تركوا طهر الرياض كمن صاغته لأواء

أين المكبر في ما يصدحون به سلواد دثرها بالقهر غوغاء

ياخيل أوسٍ أصحاب الهوى نضبت أم نالها بزئير البؤس إقصاء

مسرى الحبيب رياضٌ تشتهي قبلاً من قوس عاشقها تهواه زهراء

يرنو البراق وفي المسرى لنا ودقٌ صلى الحبيب وقد لباه إسرائ

معراج أحمد نحو الله صخرته تلك السماء بصدر القدس أصداء

يسم الشاعر أماكن بارزة في القدس، وشوق تلك الأماكن للتحرر، تذكيراً لنا بحاجتها إلينا، فعلياً أن نلبي نداء القدس، ها هو حي سلواد، وها هو المسجد الأقصى مسرى النبي، وها هي الصخرة المشرفة التي عرج منها سيدنا محمد إلى السماء، وحائط البراق، يستغيث من يجيب النداء .

في القدس تأوي دموع العشق لاهبةً تنعى غياباً يرى في الشأر صهباء

قد عانقت بجوار القتل بضعتها حيّت شهيداً له في الفجر إطراء

شاعرنا أيوب من جيل الانتفاضتين فهو عايش وجع القدس وما زال يعاني فحرفه
ثائر وكلامه عن القدس موجه فهو يدعو لحماية القدس بالجهاد بحد السيف فلا مجال
أمامه غير السيف لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فمعراج محمد ما زال يدنس كل
حين وعيون العالم غافلة عما يحدث من تهويد وتهديد للمدينة إلى آخر النص.

أما الشاعر اليمني د. محمد الحامي، وفي قصيدة له أَلْقِيَتْ في 17\11\2012 عبر إذاعة
أثير الحرية من فلسطين بصوت المذيع الفلسطيني محمد سعيد يقول:

اليوم يُجْلَدُ بالمهانة شعبنا والقلب ينبض بالجراح وَيَنْزِفُ

والصوت يعلو في المنابر حسرة وَيَشِيخُ من وجع الفؤاد وَيُتْلَفُ

وتضج من وهج الحروف قصيدي وتُذِيبُ شعري والقصائد أحرفُ

للمتُ بعضي عند كل قصيدة لَكُنْتِي لهوى المآسي أَنَسَفُ

وأرى اللجوء إلى التباكي هِمةً فَأَيَّتُ في كنفِ الدموعِ وأَعَكِفُ

يصور لنا الشاعر عظم المصيبة التي حلت بالقدس، فأصوات البكاء والنشيج تعلو،
تستغيث بيني يعرب، أن يهبوا لنصرتها، فكتب الشاعر هذه القصيدة بحروف الأمل الذي
تعيشه القدس، وبحروف الأمل بالتححرر.

لا تأسفي يا أمتي لضياعنا هذي دموعي من جراحكِ تذرفُ

لم ندر هل نبكي على إخواننا أو للسلام نرى المجالس تهتفُ

إنّا على الأوهام بنبي قولنا ورؤى الحقيقة ريحة لا تعصفُ

ما زال في وطني الكلام مُقيداً وكذا السكوت لمن يُعربدُ أنصفُ

يبين الشاعر في هذه الأبيات مدى التخاذل الذي أبداه حكام العروبة، والخنوع والذل،
فالشعوب لا تقوى على فعل شيء، لأن سطوة الحاكم وجبروته يكسر كل قلم حرّ أبيّ،
فإنهم يبنون قصورا من الأوهام والآمال.

اليوم يُجلدُ بالمهانة شعبنا والقلب ينبضُ بالجراح وينزفُ

عفواً أيا طفلَ الحجارة إنني ما زلتُ ألتحفُ الحياء وأرجفُ

هل تقبل الأعذار خير جوابنا؟ عجزت ضائرتنا فليتكَ تعرفُ

هذي بلادي يا بُني جريحةً تسبى ويضمُرُ عودها ويُقصِفُ

لا تبك يا طفلَ الحجارة إننا جُثُّ، وشعري في المدى يتأففُ

يقدم الشاعر اعتذاراً من الأبطال الصغار، أطفال الحجارة الأبطال، الذين سجلوا في
صحيفة القدس الشجاعة، ويقول له أن بني العرب لا يجروا على غير الاعتذار، فهو
الأمر الوحيد الذي ظل متاحاً تجاه القدس الشريف.

اليوم يُجلدُ بالمهانة شعبنا والقلب ينبضُ بالجراح وينزفُ

اليوم أنتَ ولا سواكَ قذيفة هزّت وكاد البرق منها يخطفُ

والغاصب المحتل ينصب جرمه ويعود في وجه العروبة يقصفُ

أنسيتَ أنك يا عدو منحتَه عزمًا وصار على المدافع يألفُ

أنسيتَ أنك بالقذائف جئتَه وسلبتَ منه براءة لا توصفُ

ها قد صنعتُ من الذخائر أمةً تُرمى إلى بطن الحروب وتُقذفُ

لن يحتويها الخوف بعد شجاعةٍ إلا إلى نصير يدكُ ويجرفُ

إن الطفل الفلسطيني صاحب الجرأة والشجاعة، يستمد جرأته من جبروت المحتل، فإن المحتل بلا إنسانيته، يعلم الأطفال الشجاعة، لذلك أنت يا طفل الحجارة أصبحت معلماً، ترسم للشعوب خطاها .

شاعر عربي آخر يكتوي بفراق العرب وضياعهم لفلسطين ويتساءل عن السلام كيف يكون وما شكله في فلسطين ويعاتب العرب على خضوعهم واستكانتهم عن القدس فالكلام كما يقول صار مقيدا ولا حرية للتعبير ويرى بأن أطفال الحجارة هم وحدهم من يستحقون الحياة بلا منازع لأنهم هم وحدهم القادرون على حماية وطنهم من الضياع. في توثيق خاص بالبحث 2013 / 7 / 11.

شاعر فلسطين آخر يحمل وجعا جديدا وجع بيروت والشام والقدس معا ينطق بكلمات عاشقة للوطن الكبير ومخففة من معاناة الإنسان في كل مكان. شاعرنا يوسف كما ونلاحظ في كتاباته هو ليس بشاعر وطن فحسب وإنما شاعر أمة لا يحمل هم فلسطين بل هم كل الشعوب المظلومة من خلال حرفه. إنه الشاعر يوسف أحمد أبو ريدة.

بيروت مرفأ حننا والقدس فردوس الهنا

والشامُ شمعة حُلِمْنَا وبها التجلّي والمنى

لا غرو إن طار الفؤاد إليك وارتشف السّنا

فالنصر آتٍ في غـدٍ والكونُ يضحكُ والدنا

وتهللي وتهللي يا نبض قلبي يا أنا

فلقد قرأتك أمّةً ونظمتُ حبّك سوسنا

يربط الشاعر بين ثلاث عواصم، إنها القدس، بيروت، ودمشق، فهي محاور الوجدع العرب، ومنبع الثورات العربية، فهو لا يبالغ عندما يعشق تلك العواصم، لأنها سجلت أسمى آيات المجد والكفاح، ويبنى الشاعر الأمل بالتححرر " فالنصر آتٍ آتٍ " ويتوحد الشاعر مع المدينة المقدسة، لأن قلبه معلقا معها، وبخلاصها خلاصه.

أشار الشاعر العراقي مكي نزال في قصيدة خاصة بالبحث وثقت في 15 / 6 / 2013 قدس وبغداد إلى أنّ القدس أخت بغداد وما حصل لهما كان ضمن خطة متكاملة لاحتلال عواصم الأمة ولا يمكن الفصل بين القدس وبغداد من منظور تكامل حواضر الأمة الكبرى.

سمعت صرخة قدس الأرض قد وصلت بغداد فاستلّت الأسياف في عجلٍ

في هذا البيت يستذكر الشاعر استجابة بغداد لنداء القدس وكيف أن بغداد استلّت أسيافها ولم تبخل ولم تتردد، وفي النهاية فإن من احتلوا بغداد يعلمون أنها ناصرة القدس الكبرى حين يأتي يوم تحريره.

يؤكد الشاعر على وحدة المصاب بين القدس وبغداد، فما جرى لبغداد ليس إلا لأنها لم
تحد عن طريق الدفاع عن القدس، فأهل العراق وأهل فلسطين، أهل المجد منذ قديم
الأزل، فيطلب الشاعر بالسجود على عتبات القدس، أو على أعتاب بغداد، لأنها في بوتقة
العز واحد.

أسجد ببغداد أو في القدس وامثلِ همالكل شريف قبله الأملِ
وجه لمكة لا يكفي توجهه هنا الرشاد فلا تشطط ولا تملي

لمن يريد الصواب فعليه بالقدس وبغداد، فالحقائق تتربع في بغداد وفي القدس
واضحة، فلا يوجد مجال للشك والريب، ببغداد دار المكارم، والقدس دار الجهاد، كما أن
الشاعر يؤكد على وحدة مشاعر العراقيين مع إخوانهم الفلسطينيين .

هنا الحقائق فاملاً كأس متبهِ لا خير فيما بدا للشك من عللِ
نبض لبغداد أو في القدس مكرمةً فكن كريماً ولا تمنعن بهذا البخلِ
سمعت صرخة قدس الأرض قد وصلت بغداد فاستلّت الأسياف في عجلِ
وانقضّ صقرٌ على صهيون أرعبهم لم ينتظر أن يبوح القول بالجميلِ
ستون عاماً مضت والقدس رازحةً، بقيدها، ياله يا صاح من خلل!

القدس استغاثت حتى بح صوتها، فلم تجد من يسمعها سوى أسود العراق، يستلون
سيوفهم، يقولوا لبيك قدساه.

أسجد ببغداد أو في القدس وامثلِ أكاد أخفي بكفي الوجه من خجلي

كانت إذا ما تنادى الموت في دمها قالت لبغداد: واأختاه! لا تُطلي

يعبر الشاعر عن أسفه وخجله من نداء القدس، فهي منذ ستين عاما تنادي وتستغيث،
واه عرباه، واه مسلماه، وتخطب بغداد وتوصيها بأن لا تطيل عليها فإنها تتألم كل يوم،
لكن القدس تبكي على بغداد؛ لما أصابها من ذل وقتل وتشريد واقتتال داخلي، فالشر
يتجمع في بغداد، ففي كل يوم قتلى وجرحى، ونساء ثكلى، وأطفال.

والآن تبكي على بغداد مُطرقةً كونوا لها بعدها في حومة الوجل؟!

ومن يصفد شيطانا يؤرّقها بصرخة حرة في خطبها الجلل؟!

تجمّع الشرّ - كل الشرّ - ضطرباً فأين جمع الندى؟ هل غاب في زحل؟!

تلك العزيزة والأخرى هوت وذوت هبوا لنصرتها في القول والعمل

يأمر الشاعر أهل العروبة ليفيقوا من سباتهم الذي طال، ويدودون عن قدس، وعن
بغداد، فإنها الأخرى سقطت في يد المحتل، بأيدي الطائفية.

يا من تمزّق ستر الليل إذ طلعت شمسكم وأضاء الأفق بالشعل

فالشمس في القدس مذ شيدت حضارتها هي المنارة في أيامها الأول

والآن مغلولّة في الأسر، مطرقةً أصابها غاشم الطغيان بالشلل

تحدثوا للورى عن حسن طلعتها لا تهجروها بذلّ الأسر كالطلل

يعود الشاعر إلى التركيز على مكانة القدس وأهميتها، وضرورة الدفاع عنها، فهي قدس الأقداس، ويشبهها بمنارة تضيء السماء، إلا أنها أصبحت مشلولة وعاجزة، لأن الاستعمار قيدها وخنق أنفاسها، ويأمر أن لا تهجر القدس هكذا .

وكما قلت بأن القدس وبغداد توأمان في الوجود ها هو شاعرنا مكي نزال يطالعنا بأماله في تحقيق السلام لتلك المدينتين أويبدو بأن الشاعر من عشاق القدس كما هو من عشاق بغداد فمصاب بغداد هو مصاب القدس فلذلك يدعو للوحدة ولم الجراح من أجل وحدة عربية هذه المدينة القدس التي تستحق أن نضحى لأجلها وكما قال.

وثقت للبحث من خلال اتصال بالشاعر عبر التواصل الاجتماعي في 1 / 8 / 2013 م.

نشرت في جريدة الساعة العراقية حزيان (2006) بحسب تأكيد الشاعر لنا وبعده مواقع أخرى.

وفي محاورة مع الباحثة، تم نشر قصيدة للشاعر الفلسطيني المغترب في مخيمات لبنان أحمد الشيخ بعدة مواقع الكترونية، وفي دنيا الوطن في 6 / 9 / 2012 موقع فلسطيني، والتي حملت عنوان "اسمك" جاء فيها.

وبما أن الشاعر يعاني اللجوء، فإن قصيدته تتسم بالشوق والحنين للعودة إلى الوطن، فاسم القدس يسحبه إلى وطنه ومسقط رأسه، وهدوء العاصفة لا يكون إلا بالعودة إلى القدس، فالجبال والسهول الأودية تبكي فراق أصحابها، وتنتظر عودتهم بفارغ الصبر.

اسمُكَ يَشُدُّنِي

يُرْحَلُ بِي

فِي أَعْمَاقِ الْمَدِينَةِ

يُضْفِي عَلَى مَلَامِحِي

بِهْدُوءِ الْعَاصِفَةِ

وَبِسَكِينَةٍ

آلَامٌ تَخَلَّتْ عَنِ الدَّرُوبِ

عَنِ الْجِبَالِ وَالرَّوَابِي

الْبَاكِئَةِ الْحَزِينَةِ

كَأَنْتِ تُقَارِعُ فَرْحاً

فِي شَهَقَةٍ بَادِيَةٍ

يَسْتَلْهِمُ الْحَنِينَ

يَا أَنَّةَ الْوَجَعِ

فِي سَفَرِ الْحَيَاةِ

الْمُبْجَرِّ مَعَ كُلِّ سَفِينَةٍ

فِي ضَمَّةِ شَوْقٍ

تَتَنَظَّرُ دَفْعاً وَهَمْساً

يُطَارِدُ الْأَيْنَ

أَحْلَامُكَ مَاضِيَّةٌ

تَزْرَعُ الْحَقُولَ بِالْفَلِّ

يُغَارِزُ الْيَاسْمِينَ

لَنْ يُطْبِقَ اللَّيْلُ

عَلَى جَفْنَيْكَ

لَنْ يُحْصِيَ السَّيْنُ

مَعَ رَوْضِ الْفَجْرِ الضَّاحِكِ

يَنْتَظِرُ قَدُومَ

الْبَسْمَةِ السَّجِينَةِ

كَيْ يَنْثُرَ الْقُبْلَ

مَعَ كُلِّ تَغْرِيدَةٍ مَرْجُوَّةٍ

فِي الرُّوحِ دَفِينَةٍ

يناجي الشاعر مدينة القدس بشوق الصبابة، ويطلب منها أن تبقى صامدة صابرة
فالأسر لن يدوم، ولا بد من فرج، ويطرجى لو يكون قريب، فشبيها وشبانها ينتظرون
العودة بفارغ الصبر.

يا قُدُسُ يا عروسُ الدّنيا

يا قاطنةَ القلوبِ

يا قبلةَ المجاهدينَ

تَبْقَيْنَ في صَرَخَةِ الوِلادةِ

في رَجَمِ المخاضِ

عُرْوَةُ الصَّبْرِ المُتَيَّنَةِ

الشاعر أحمد الشيخ عشق القدس من قلبه وتخيل له أنها عروس الدنيا حيث جعل منها
محبوبته الجميلة، ولاسمها وقع على نفسه وقلبه ويبادلها الأمانى بقوله بأن الليل لن يطول
وهذا ما يرسله كافة الشعراء للقدس بأن الظلم والاحتلال مهما طال سيأتي الفجر مؤكدا
بأن النصر الذي ستحظى به القدس سوف ينسيها مر الأيام والسنين الماضيات ويرى
شاعرنا بأن القدس تمر في مرحلة مخاض عسير وطويل ولكن القادم لها أجمل.

(2012/9/5)

كلمات والباحثة إيمان مصاروة في مقتطف من قصيدتها "سبع قبلات":

سبعُ قبَلاتٍ لثُمْتُ أنفاسي

وأسدلتُ عليها لباس الكهان

رسمتُ لها سبعة أبوابٍ

أسطورة في خيالاتي

أضحتُ تراقصني فوق النجوم

وتهمسُ لقناديلٍ روحي

على جدارية الغفران...

الباحثة والشاعرة إيمان مصاروة تهدي القدس القبل على أبوابها السبعة، لتبين مدى
العشق الذي يسكن قلبها، فتتراقص نشوتها لحرية عروس فلسطين، للمسجد والكنيسة،
فالعلاقة التي تربط الشاعرة بمدينة قوية فوق التصور، فتحمل حلم التحرر للأجيال،
وتراهن بأن من تبقى في القدس مرابطين سيقون على العهد، لن يتركوا القدس مهما
جرى، ففيها باقون باقون.

طوقتُ ملاذ مدينتي كل الأسوار

سبع همسات سبحت

باسم الباقي

في قوافي الغيبِ

ولهاتِ تغريد البلابلِ

وَقُلُوبِ الْعَشَّاقِ

وهذا الشاعر العربي الناقد اليمني محمد عبد القدوس الوزير يبرهن لنا أهمية القدس في الأدب العربي من خلال رائعته "يوم القدس" والتي وثقت للبحث من خلال لقاء خاص به في 30 / 6 / 2013، يقول:

قِيلَ هُمْ ثَلَاثَةٌ تُسَمَّى يَهُودُ

تَتَحَدَّى وَالْقُدُسُ هَلْكَى تَجُودُ

مَا سِوَاهَا لِلْمَكْرِ تَمْضِي عَنَاداً

تَتَعَدَّى وَالْقَوْمُ صَرَعى رُقُودُ

مَنْذُ سَتَيْنِ رُبَاهَا وَهِيَ فِيهَا

(وَعُدُّ بَلْفُورٍ) وَيَلَهُ وَالْكَؤُودُ

يرسم الشاعر لوحة القدس الحزينة، بعد أن سيطر عليها اليهود، فالقدس صابرة صامدة، تتحمل العذاب وتمضي، ويصور العرب والمسلمين، الذين لم يعد لهم حول ولا قوة، بعد أن صرعوا بأيدي الفرقة والتفكك، فالقدس تبكي منذ أن قطع وعد بلفور المشؤوم .

أَرْضُ مَسْرِى الرِّسُولِ طَهْ تُنَادِي

نَخْوَةُ الْعَرَبِ فَانْهَضُوا يَا أَسْوَدُ

ما تقولون للورى وهى لما

تبعث النضر أين منّا الشهود

قلّة تغضب البلاد وفيها

معشر يدعى وفينا يقود

يستنهض الشاعر الأمة النائمة، ليهبوا لتحرير القدس، ويبين لهم بأن اليهود أقلية في مقابل أبناء العروبة، فتحرير القدس أمر محقق لو أن العرب صحوا من غفوتهم، التي طالت، فالعرب لا ينقصهم سوى قوة العزيمة والإرادة ؛ لتحرير أولى القبلتين وثاني المسجدين .

أيها العار من زمان تردى

فغدونا نقاد . أين الأسود

هان من يطلب الحياة بذل

من أحب الحياة فيها بليد

أين من بايعوا الإله بصدق

لا تتوهوا هذا الجهاد الرشيد

وجّهوا الجهد كي تعودوا كراماً

الشاعر يبين العار الذي رسخه العرب في تخليهم عن القدس، ويتساءل عن أبطال
العروبة، أين هم؟ القدس تنادي: هل يسمعون النداء؟ فالشاعر يعد من يطلب الحياة بلا
كرامة أن يهنوا ويعيشون بلا كرامة لأنهم تركوا الجهاد.

يا فلسطينُ هالكِ جثتنا ندوُدُ

قد وعينا الدروسَ ما عادَ فينا

غافلٌ عن هواك. جاءَ الحُشودُ

نردمُ الجدرِ نهزمُ العارَ حتى

ليسَ تبقى على الحياةِ اليهودُ

وعُدَّ قرآننا الكريمَ فهياً

من يُلبِّي النداءَ فهو الشهيدُ

جاءَ زحفُ الأباةِ من كلِّ فجٍ

وتولَّى الطُّغاةُ. لا لن يعودوا

يومَ ذكراكَ أيها القدسُ حلَّتْ

فيه نعدو على العدى - لا نحيدُ

ما تأمرُكُ أو تصهينُ يوماً

أَوْ تَخَازِلْتُ .. أَمَّتِي مِنْ تَسْوُدُ

يرسم الشاعر لنا أملاً جديداً للعروبة، فيرى الشاعر أبناء العروبة يعودون إلى
رشدتهم، ويجهزوا للقدس الجيوش، وتأتي الجيوش من كل فج، يرسم الشاعر أبناء
العروبة بعد صحتهم من ذلك السبات العميق، فيهبوا موحدين، فتمسي المدينة حرة،
وترفع على مساجدها وكنائسها رايات العروبة.

والقروءُ الملائعِينِ عليها

إِنَّهُمْ فِي هَدْيِ الْكِتَابِ الْقُرْوُدُ

جاءَ وَعُدُّ الْإِلَهِ وَالْبَأْسُ وَافِي

زَمْرَةَ الْحَقْدِ أَمَا عَلَيْهَا حَقُّوُدُ

(كامب ديفيد) والسلامُ الْمُسَمَّى

مَنْ أَلَاعِبِ سَاسَةٍ قَدْ أَبْيَدُوا

يدرك الشاعر الألعوبة السياسية التي تحاك على فلسطين، ويؤكد أنه لا سلام مع من
وصفهم القرآن بالقردة والخنازير، فما كامب ديفيد سوى ألعوبة فلا سلام مع عدو استباح
المقدسات، لا سلام مع المحتل.

أَيُّهَا الْقُدْسُ أَنْ يَوْمًا بِالْفِ

مَا سَوَى الصَّبْرِ قَدْ أَتَاكَ الصُّمُودُ

حيّ شَبَلًا في ساحة الحقِّ يدعُو

والشَّبَابَ المُجِيبَ فيها العمُودُ

قد دنى الوعدُ حصحص الحقُّ هذا

وعُدُّ ميراثنا الميّنُ الأكيدُ

ستون عاما وأكثر والقدس تكابد ويلات المحتل فوعد بلفور كما يقول الشاعر سبب
المصيبة الكبرى في الظلم والاحتلال ورغم الظلم الواقع على المدينة إلا أن القدس قوية
بإرادتها نحو التحرر ويدعو الشاعر الأمة العربية إلى الجهاد فالقدس تقاتل وحدها
فالأمريكان والصهاينة عليها ومع ذلك لم تفلح في تهويد المدينة المقدسة. ويلوم شاعرنا
هنا المفاوضات التي تجر الولايات على القضية الفلسطينية فهو يراها لا قيمة لها.

وأما الشاعر السوري وليد الرشيد الحراكي في قصيدته "القدس تنتظر" والتي كان
نشرها بموقع الواحة الالكترونية وزودنا بها أثناء لقاء خاص مع الباحثة في
2013 / 7 / 20 :

يا جبهة العزِّ للتأريح تنصُرُ أوتيت عزمَ بلادِ هذَّها الحورُ

ها أنتِ ثانيةٌ تُحْيِينِ رايَتَنَا وذي بنو عَرَبٍ، مَيّتٌ ومُحتَضِرُ

كم تاجرتَ بِاسْمِكَ الأفواهُ تلفظُهُ وفي الصُّدُورِ قلوبُ الصَّمْتِ تَسْتَرُ

للهِ دُرُّهُمُ الشُّجْعانُ ما خَنَعُوا ما نالَ منهم عدوُّ اللهِ أو نَفَرُوا

أَصْلَوْا سَعِيرَ الْفِدا من جَهْرٍ مَوْقِدِهِمْ فَعَلَّمُونَا بِذَا الْخُسْرَانِ مَا الظَّفَرُ
اللهُ أَكْبَرُ حِينَ اخْتَارَ غَزَّتْنَا أَرْضَ الرِّبَاطِ دَلِيلًا لَلْأَلَى عَثَرُوا
اللهُ أَكْبَرُ قَوْمِي أُمَّةً رَقَدَتْ بِحُلُمٍ مَاضٍ فَذَا سَعْدٌ وَذَا عُمَرُ
وَذَا صَلاَحٍ بَعِينِ الْمَجْدِ يُرْقُبُنَا هَلْ يَقْتَدِي بِجُنُودِ الْفَتْحِ مُعْتَرٍ؟
وَهَلْ نَرَى بِضِيَاءِ الْهَدْيِ بُغْيَتَنَا وَهَلْ لِدُمْلِنَا بِالسَّيْفِ مُبْتَسِرُ؟
مَنْ قَاسِيُونَ أَطْلَ الْفَجْرُ مُرْتَدِيًا بِشَائِرِ النَّصْرِ تَرْنُو لَهُ قَطْرُ
وَفِي الْكِتَابَةِ وَعْدُهُ هَلْ بَارِقُهُ يَشُدُّ مَنْ أَزْرٍ مَنْ بِالْأُمْسِ مَا عَبَرُوا
وَمَنْ رُبَى الْحَرَمَيْنِ أَنْدَاحَ مُتَشِيرًا صَوْتُ الْهَدِيرِ وَدَابُّ الْحَقِّ يَتَشِيرُ
مَنْ تُونَسَ أَنْطَلَقَتْ أَزْزَالُ فَرَعَتِهَا تَقُولُ : لَا، لَمْ نَعُدْ بِالذِّلِّ نَصْطِيرُ
بَوْرُكْتَ غَزَّةَ كَمْ أُحْيِيَتْ مِنْ رِمَمٍ وَكَمْ عَلَى بَابِكَ الْحَيَاتُ تَنْتَحِرُ
شُدِّي لَنَا بِبَحْرِ النَّصْرِ أَشْرَعَةً وَاسْتَعْجِلِي.. تِلْكَ قُدُسُ اللهِ تَنْتَظِرُ

يحاول الشاعر في قصيدته أن يعيد أمجاد العرب الماضية بذكر أفعالهم العظيمة ولكنه في نفس الوقت يلوم عليهم البقاء على ما فعله صلاح وعمر وسعد، ويقول شاعرنا بأن القدس هي الأساس لاستقرار كافة البلدان العربية فالقدس هي أم القضية، وهي صاحبة الإرادة القوية فالنصر من عندك سيكون لتحرير كافة البلدان.

فيا جاء الشاعر الفلسطيني إبراهيم الأعرج بقصيدته "ثوب الإباء" القدس" ليقول في القدس:

قف على أبواب قُديسٍ مارداً إنَّكَ الصَّبُّ الذي يهوى العرينُ
لم تغب عنا ومُهجاتِ القلوبِ دُبت فيها بعدما اشتدَّ الحنينُ
لا تلمَّ أعطافَها وانشُدْها لو إذابتك عذاباتُ الأنين
لم يُذبْ هولُ الردى أوصالها فهي رمزٌ لصمودِ الأولين
قد تنقى طهرهم تحت الثرى قدَّم البغي توارث من سنين
كان سلطان الهوى يا قلبه عاشقُ القدس التي لا تستكين
دام عزاً فابنُها لا يرتدي غير ثوبٍ لكرام الأكرمين

دعوة واضحة وصريحة من الشاعر لكافة الناس للوقوف على أبواب القدس لأن القدس لك وأنت بها أولى أيها العربي ويؤكد الشاعر بأنه لم ينس القدس أحد فهي درة البلاد وهي المعشوقة التي لا يمكن لأحد أن ينساها فهي جوهرة الديار.

والشاعر الجزائري جمال الريميلي في لقاء خاص بنا حيث يخيل إلى المار على حروفه أنه يقتاد يومه من مكانة هذه المدينة التي تحمل طابع القدسية والشرعية الإبداعية لدى كل شاعر صاحب مبدأ وضمير حي. فالشاعر يبرق برسالة إلى القدس وما فيها، رسالة البقاء، فالقدس في قلبه وقلوب أخوانه خالدة، آلامها تؤلمه في صميمه، وحزنها يبكيه، في

كل لحظة طيفها في خياله يؤرقه، فحرقه نبضها تلهب الصدور، ويبارك الشاعر صمود
القدس ومن فيها في وجه المعتد الآثم .

قضى القلب لحمايك المأسور

في الأجواء

لمقامك الأسمى

ولسع الداء

لمعينك المنساب

في أزواحنا

لصمودك المبتوث

قيّد رجاء

لبهائك المعنى

لتوق نفوسنا

لقصيدة

لك أبرقت بندا

يهفو

بِكَ الْحَرْفُ الْمُؤَجَّلُ حَائِلًا

وَيَصُوغُكَ الْمَعْنَى الَّذِي

فِي الْمَاءِ

تحتل القدس مكانة لا تضاهي في نفس الشاعر وروحه، فهي الأمل والعمل، فيصرح لها بلغة شاعرية راقية، بالحب والحنان، فهي ملهمة الشاعر، ليرسم خطى التحرر والتحرير، فلهيب شهاب الأمل يختلج حشاه .

وَلَا تَنُكَّ الْجُدُوىَ التِّي

فِي حُلْمِنَا

يَنْفَتَقُ الْإِفْضَاءُ

فِي الْإِفْضَاءِ

وَلَا تَنُكَّ الْمُتَنَالُ

فِي رَمَقِ الْهَوَى

مَا زَالَ بَرَقُكَ

ثَائِرًا بِسَمَاءِ

للممود ألف حكاية وحكاية، في كل دقيقة تسطر القدس نضالات وجهاد، ألف
اعتداء للصهاينة مس جرح القدس، وفي كل اعتداء عليها يدمى قلب الشاعر من جراح،
فجرح القدس أدمى قلب الشاعر وقلوب الشرفاء من أبناء العروبة، فيشعر الشاعر بخيبة
أمل تتبدد هذه الخيبة بريق الأمل اللامع في سماء الوطن المحتل ليلة الإسرائ، هذا
الشهاب يعيد البسمة للقلوب.

مَا زِلْتُ فِي الْبَسَمَاتِ

تُذْنِي وَزَدَهَا

إِذَا مَا أَطَلَّتْ

لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ

مَا زِلْتُ

فِي أَفْصَى الْقُلُوبِ

مَنَارَهَا

وَبِكَ الْحَنَائَا

أَزْهَرَتْ بِبَهَاءِ

تسيطر على الشاعر عاطفة القدس الملهبة حبا وعشقا وحنانا، فهي مشكاة النور التي
تضيء سماء الشاعر، لتهديه إلى الطريق القويم، كي لا يتخبط فيها خبط عشواء، ويتعثر في
عشرات ركام التخلف والتبعية، والفساد.

يَا عَشْقَنَا الْأَبَدِيَّ

يَا مِشْكَاَتَنَا

يَا سَامِقًا فِينَا

كَمَا الْجَوَزَاءِ

يزين الشاعر قصيدته بسنا القدس ونورها، ويعطرها من شذى القدس الندي،
فالقدس نبع الحنان، فهي أم العروبة وعروس الوطن العربي، فرائحة القدس شهدا يزين
القصيدة في جميع أرجائها.

إِنَّا نُرِيدُكَ

قَبْلَهُ

لِلْمُشْتَهَى

إِذْ كُنْتَ ثَانِيَهَا

وَرَمَزَ سَنَاءِ

إِنَّا نُرِيدُكَ

لِلْقَوَا فِي عِطْرَهَا

وَتُرِيدُكَ الْإِزْوَاءَ

فِي الْإِزْوَاءِ

يختتم الشاعر قصيدته بوعده للقدس بأن تظل القدس خالدة في قلبه وقلوب إخوته،
فهي نبض قلبه، فسر وجوده بوجودها، فعزه من عزها، وسيبقى ألمه ما دام في قلبها أمل.

سَتَظَلُّ أَقْصَى الْقَلْبِ

سِرًّا خَالِدًا

وَتَظَلُّ رَغَمَ الرُّغْمِ

فِي خَيْلَاءِ

إصرار من الشاعر على أن تبقى القدس هي الأقوى فالقدس برأيه هي السر الخالد
الذي لا يفنى لمكانة القدس الدينية فهي مسرى الرسول ومعراجته إلى السماء فلا غربة
أن تكون هي من أقدس بقاع الأرض فلا يريد الشاعر من مدينته إلا أن تكون قوية
مدافعة عن نفسها وبنيتها.

أما الشاعر الأردني، ابن مدينة مادبا، سعيد يعقوب يقول في قصيدته "القدس":⁸⁹

⁸⁹ قصيدة القدس، ديوان قسرات عربية، ص 35، الصادر عن دار الينابيع بعمان عام 2011.

قَدَرُ الْكَبِيرِ بَأْنُ يَظَلُّ كَبِيرًا وَيَرَى الْعَسِيرَ عَلَى يَدَيْهِ يَسِيرًا
 وَيَدُوسَ لِلْهَدَفِ النَّبِيلِ فِدَايِدًا وَيَشُقُّ لِلْأَمَلِ الْبَعِيدِ صُحُورًا
 وَتَزِيدُهُ الْأَلَامُ عَزْمًا وَالْأَذَى بَأْسًا وَيَغْنَى رِقَّةً وَشُعُورًا
 ذَهَبٌ عَلَى النَّيِّرَانِ زَادَ بَرِيقُهُ وَالنَّارُ تُبْدِي الْجَوْهَرَ الْمُسْتُورًا
 أَلَمُ الْجِرَاحِ يُثِيرُ فِيهِ إِبَاءَهُ كَمْ مِنْ إِبَاءٍ بِالْجِرَاحِ أَثِيرًا
 وَالْقُدُسُ مَا زَادَتْ بِرَغَمِ كُرُوبِهَا إِلَّا عَنِ الضَّعْفِ الْمُهِينِ نُفُورًا
 وَجْهُهُ يُمُوجُ فِدَاسَةً وَمَحَبَّةً وَفَمٌ يَفِيضُ طَهَارَةً وَعَبِيرًا
 يَا (قُدُسُ) يَا مَهْدَ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ شُعَاعًا يَقْهَرُ الدِّيَجُورَا
 خَصَّتْكَ بِالْحُبِّ السَّمَاءُ وَمَنْ تَرَى إِلَّاكَ كَانَ بِمَا خَصَّصْتَ جَدِيرًا
 فَعَلَى نَرَاكِ الطُّهْرِ كَمْ مِنْ شُرْعَةٍ أَهَدَتْ لِأَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ النُّورَا
 جَاءَتْ تُبَشِّرُ بِالتَّسَامُحِ وَاهْدَى وَعَلَا بِهَا صَوْتُ الْهُدَاةِ جَهِيرًا
 وَتُحَطِّمُ الظُّلْمَ الْبَغِيضَ بَعْدَهَا وَتُزِيلُ مِنْ دُنْيَا النُّفُوسِ شُرُورَا
 وَعَلَى رُبَاكِ الشُّمُّ كَمْ مِنْ مَهَبٍ لِلْوَحْيِ يَهْتِكُ لِلظُّلَامِ سُتُورَا

يتحدث الشاعر عن التأثير العربي الفلسطيني، قائلاً بأن التأثير كبير، ويبدد الأوجاع بقوته، ويصبح العسير على يديه يسيراً، فهو يناضل من أجل هدفه ويشق أمله بين الصخور، فالأوجاع التي يواجهها لا تكسر ظهره، وإنما تزيد قوة وإصراراً.

والقدس رغم جراحها ما زالت صامدة، وما زالت تبعث برسائل السلام والمحبة إلى بقاع الأرض، فالقدس مهبط الرسالات السماوية الثلاث، خصها الله سبحانه لتكون منشور السلام والأمن والمحبة على هذه الأرض.

هي القدس على مرمى حجر من الأردن ولكن هيهات أن يكون الوصول إليها يسيراً فشاعرنا يتحسر على أمجاد العرب الضائعة وعلى بطولات قادتنا قديماً وما يزيد من حرقه القلب كيف كانت الأمة الإسلامية والعربية قوية وكيف صارت ضعيفة وسطى عليها الأعداء طمعاً في خيراتها وصارت الحمايم برأيه صقوراً والمحتل رغم ذلك لا يزال يزور في تاريخ المدينة إلا أن الأرض تلفظهم وتأبى أن يكونوا فيها لأنها طاهرة لا تقبل الدنس فسنة الله أن يظهر العدل في أرضه فلن تغلح محاولات العدو في تهويد وتزوير وتحريف تاريخ أمة كاملاً.

ويتغنى الشاعر بأمجاد معارك الماضي التي كان المدافعون عن حياض القدس عشاق لها فمعركة اللطرون وباب الواد أكبر شاهد على ذلك، ويبقى شاعرنا يقتله الشوق لرؤية القدس ولعناقها.

قصيدة "القدس" منشورة في ديوان "قسرات عربية" الصادر عن دار الينابيع بعمان عام 2011 صفحة (35).

وللشاعرة الباحثة هذه القصيدة التي تحاكي القدس بألمها وتاريخها وحضارتها وجهاتها وحزنها وفرحها نشرت بعدة مواقع الكترونية في العام 2012.

القدسُ لؤلؤةٌ مدى الأيامِ نبُعُ القداسةَ والبهاءَ السامي

إن الحياة جميلةٌ في حُضْنِها رغم القذى والجرح والآلامِ
مهْدُ المحبةِ والتكْرُمِ والندى والمجد والإيمان والإسلامِ
مهما اذْهَمَ الليل في أفق الدنا فهي المنارةُ فوقَ كلِّ ظلامِ
ستعيش رافعةً يديها حُرَّةً بالنصرِ تحملُ أظْهَرِ الأعلامِ
ستظل نبراساً لكل مناضِلٍ وتظل منهاجاً لكل هُمامِ
وهي القصيدة في الزمان فريدةٌ فوق الشاءِ وفوق كلِّ كلامِ
القدس موسيقى على أسماعنا وقلوبنا سحريةُ الأنغامِ
الحُسْنُ في أسوارها متدفقٌ نهراً من الإبداع والإلهامِ
حقُّ عليٍّ بأن أحب تراها ويكونُ فيها مَفْخَرِي بمقامِ
حقُّ عليٍّ العشقُ في أركانها وصُداح قلبي عندها بغرامي
ولأنها ابتسمتُ برغم جراحها فلأحيي فيها بالغم بالبسامِ
وإذا حلمتُ فإنها حُرِّيَّةٌ في أرضها قد عانقت أحلامي
شمسٌ متى طلعتُ تحركُ مهجتي وتزيل عني وحشة الإظلامِ
وأرى بها شعر الحماسة موثلي والحب فيها مشربي وطعامي

يا إخوتي لا تحسبوا الفجرَ الذي أشدُّ له ضَرْباً من الأوهامِ
وتنظَّروا جنَّاتِ زهْرِ في الرِّبى تختال ناعمةً بماء غمامي
وغداً يعودُ الحقُّ بعد غيابه عوداً وتلك مشيئة العلامِ
وغداً نطالعُ والزمانُ مُطالعُ فرح الأسيرِ وبهجة الأيتامِ
ونرى حدائقَ في الوجوه نديَّة قد طُهرت من كل حزنٍ دامِ
إن لم تكنْ أرواحنا طمَّاحة عاشت رهينة أسوء الأسقامِ

تصف الشاعرة القدس وتشبهها باللؤلؤة الثمينة الساطعة بلمعانها، لمعانها يبرق محبة وسلاماً، رافعة يد الود والمحبة عالية، مهما طال الليل عليها لا بد وأن يزول، ستظل ملهما للشعراء يتغنون بها، تبعث في قلوب المناضلين روح الحياة، فالقدس رمز الأمان والسلام، ورمز الجمال والحضارة، نبع الحماسة للجهاد تحت قبابها، فالمجاهد عندما يحرق بها، ينتفض قلبه شوقاً للشهادة.

أما الشاعر الأردني محمد سمحان وفي لاميته أنصف القدس حين كتب قصيدته "لامية القدس" ... لامية القهر.

شِدِّي الرَّحَالَ إِلَى الْأَقْصَى عَلَى عَجَلٍ قَبْلَ الْبُكَاءِ بِلا جَدْوَى عَلَى الطَّلَلِ
لا يُوقِفُ الْهَدْمَ لَلْوَمِّ وَلَا عَذْلٌ وَلَا الرُّكُونُ إِلَى الْأَعْذارِ وَالْعِلَلِ

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ جَلَّ الْخَطْبُ فَانْتَفِضِي فَقَدْ غَدَا الْخُلْفُ أَمْرًا غَيْرَ مُحْتَمَلٍ
كَفَى هَوَانًا فَقَدْ صَجَّ الْهَوَانُ بِنَا وَحَالَنَا فِيهِ أَمْسَى مَضْرَبَ الْمَثَلِ
تَعْدُو عَلَيْنَا حُثَالَتُ الشُّعُوبِ فَلَا نُحِسُّ بِالْعَارِ أَوْ بِالْعَيْبِ وَالْحَجَلِ
وَفَوْقَ هَذَا وَذَا نَرْضَى بِذِلَّتِنَا وَنُسَلِّمُ الْحُكْمَ لِلْأَنْدَالِ وَالسَّفَلِ
هُمْ مَزَّقُونَا عَلَى أَهْوَائِهِمْ مِزْقًا وَقَسَّمُونَا كَمَا شَاءُوا إِلَى دُولِ
وَأَسْلَمُونَا إِلَى أَغْدَائِنَا لَقَمًا وَسَيَّجُوا حُكْمَهُمْ بِالْجُورِ وَالدَّجَلِ
لَا هُمْ يَشْغَلُهُمْ إِلَّا تَرْبُعُهُمْ عَلَى الْكَرَاسِيِّ وَلَا يَرْضَوْنَ مِنْ بَدَلِ
وَحَوْلَهُمْ زُمَرٌ بَاعَتْ صَمَائِرَهَا مِنَ الزَّنَادِقِ وَالزُّعْرَانِ وَالْهَمَلِ
أَعْطُوا لِلْإِبْلِيسَ مَا شَاءَتْ غَوَايَتُهُ لِيُصْبِحُوا مِثْلَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَحَكَّمُوا الْعَرَبَ فِيهِمْ كَيْ يُحْكَمَهُمْ فِينَا امْتِثَالًا كَحُكْمِ الْجَحْشِ فِي الْإِبْلِ
فَمِنْ (جَاكَرَتَا لِنُوقِ الشَّطِّ) تَحَسَّبْنَا كَمَنْ أَصِيبَ بِفَقْدِ الْعَقْلِ وَالشَّلَلِ
نَحْنُ الرِّعَايَا وَهُمْ يَرْعُونَ أَمَّتْنَا كَمَا يَشَاوُونَ رَعِيَ الذِّبِّ لِلْحَمَلِ
أَعْطُوا لِصَهْيُونِ مَا شَاءَتْ لِتَبْقِيَهُمْ يَحْمُونَ دَوْلَتَهَا مِنْ سَاعَةِ الْأَجَلِ
وَالْقُدْسُ وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى بِأَسْرِهِمَا يَسْتَنْجِدَانِ وَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ بَطَلِ

آمَنْتُ بِاللَّهِ رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ وَسَيِّدَ الْخَلْقِ وَالْقُرْآنِ وَالرُّسُلِ
وَاللَّهُ يَا قُدُّسُ مَا أَشْرَقَتْ فِي خَلْدِي إِلَّا وَدَمْعِي مِثْلَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ
قَالُوا أَلَمْ تَخْشَ مِمَّا قُلْتَ؟؟ قُلْتُ لَهُمْ (أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ)

فالشاعر من بداية القصيدة بدأ باستنهاض الهمة لنصرة القدس فيبرق رسائله إلى الأمة العربية، فهو يدعو إلى شد الرحال إلى القدس من أجل الجهاد، ويدعو إلى عدم الخنوع والاكتفاء بالبكاء، فوضع القدس لا يحتمل التأخير أكثر، فيخاطب العرب قائلاً، كفاكم ذل وهوان، فأصبح العرب مضرب مثلاً في الذل، هذا هو حالنا بعد أن سيطر المستعمر على كل شيء فينا، وغلبتنا الفرقة، وأصبحنا دويلات صغيرة لا تتفق، فيدعو الشاعر أبناء العروبة إلى الاتحاد والتوحد في صف واحد لمجابهة المحتل، وبغير وحدتنا وديننا لا عز لنا ولا قوة ولا منعة، فالشاعر يقول هذه العبارات، التي تعتبرها الحكومات العربية فكراً انقلابياً دون خوف، لأنه يخشى أن يعاقب، وضرب لنا مثلاً، من يركب البحر لا يخشى من أن يبتل بالماء.

وللشاعرة العربية الشيخة هند صقر القاسمي هذه القصيدة بعنوان "اليوبيل الدامي":

يا لقومي هل تُراكم سُعداءٌ ولهبُ الدُّلِ يُصلي البُسلاءُ
نصفُ قرنٍ قد مضى والصمتُ داءٌ ينخرُ العظمَ ولا يلقى الدواءُ
نصفُ قرنٍ أَرَقْتُ أجفاننا صرخةُ الحقِ تُنادي النُجباءُ

نصفُ قرنٍ يا (فلسطينُ) مضى لم يلبَّ القومُ أصداءَ النداءِ
إننا قومٌ غدتْ أنفسُنا تعشقُ الوعدَ ويُشجِئها الثناء
كم؟ وكم قد شتَّفتْ آذانُنا: (في غدٍ سلمٌ وأمنٌ ورخاءُ)
فتناسينا حقوقاً سُلِبَتْ ودماءَ حُرّاً أضغناه هباءً
وتناسينا يتامى شَرَّدوا باسمِ (الاستيطانِ) باتوا في العراءِ
وثكالى مزَقَتْ أحشاءُهنَّ (مديَّةُ) الغدرِ وجورُ الحلفاءِ
كم شهيدٍ عشقَ الموتَ وكم بطلٍ ضحَّى وإنْ عزَّ الفداءُ
هم فرادى قد مضوا يصحبُهُم عنفوانُ المجدِ والعزمُ المضاءُ
ما انتنَى طفلٌ ولا أرملةٌ عن جهادٍ يملأُ الدنيا حياءُ
أمطروهم حجراً مُشتِعِلاً زرعوا الرعبَ بقلبِ الدخلاءِ
هللوا أنْ في غدٍ موعدنا نفتدي (القدسَ) بروحٍ ودماءِ
سوف يأتي (خالدٌ) يجمعُنا يفلقُ الهامَ بسيفِ العظماءِ
أو سيأتي (طارقُ) في جحفلٍ أو (صلاحُ الدينِ) عنوانُ الإباءِ
فلنحقق في غدٍ غاياتنا بصمودٍ نتحدَّى الأقوياءِ

تحت راي الحق نمضي قُدماً نسحقُ الظلمَ ونُقْصي الغرباء
فلنُحرزَ أرضنا من غلُّها ولنردَّ (القدس) (قدس) الأنبياء
أنتم الجذوةُ في ساحِ الوغَى أشعلوا الحربَ بعزمِ الشُّرفاء
مزقَت صيحاتكم أعداءكم ورويتُم أرضكم أغلى دماء
في ركابِ المجيدِ فامضوا قُدماً حققوا العهدَ وصونوا الكبرياء
وأعيدوا يومَ (حطين) كما قد عهدناكم عتاةً أقوياء
أنتمو جندُ (صلاح) فاثأروا لدمِ الإسلامِ في عصرِ الغُثاء
حرروا السيفَ من الغمدِ فما صدأ السيفُ ولا عزَّ الرجاء
واعلنوها ثورةً عارمةً حربَ شعواء لها النصرُ شفاء
بارك الله خطاكم إنكم زُمُرٌ قد شيدتْ أعلى بناء

تذهب الشاعرة في حوار مع ذاتها تسأل تارة نفسها وتارة أخرى تحاول أن تصرخ لتعبر
عن غضبها ورفضها للذل فتقول هل يا ترى نحن بما يحل بفلسطين الحبيبة سعداء والذل
قد وصل إلى كل البلدان وصار ينخر بكل الأجساد فنصف قرن على احتلال الأرض
المقدسة ورغم هذه المدة الطويلة إلى أنه لم يتحرك أحد لينجد فلسطين فدماء الشهداء ما
زالت تستصرخ الأحرار ولا هناك من مجيب وكأن الأمة العربية مصرة على عدم سماع
النداء الحر الفلسطيني، وهنا أرى بأن الشاعرة تأس من نداء العرب فتوجه بخطابها للأمم

الفلسطينية الصامدة وللطفل صاحب المقلاع والحجر وللمقاوم في كل الأرض أنكم أنتم الأقوياء تقاتلون وحدكم وتدعوهم لمزيد من المقاومة والإصرار على الحياة، وتبشرهم بأن النصر قادم، فغداً سيأتي قادة عظام كصلاح الدين وطارق بن زياد، سيأتي من يحرر الأرض المحتلة من دنس بني صهيون. وهنا الشاعرة نائرة حاملة للوجع الفلسطيني القاتل، وهي تقاتل بحرفها مع فلسطين.

آيات الأخرس الشهيدة التي قامت بتفجير نفسها في القدس الغربية 20/ فبراير / 1986
كما قلنا بأن الشاعرة تناضل مع فلسطين بقوة حرفها فها هي تدوس على أنف المحتل بجبروت حرفها وتدافع عن أرض الإسرائء والمعراج تتساءل مرة وتتعجب ألفا كيف لبني صهيون أن يدوسوا قداسة كنيسة المهد في بيت لحم وهنا إشارة إلى حصار كنيسة المهد واجتياح الضفة الغربية عام 2002 م وتندر الأعداء بأن مدينة جنين رغم ضعفها إلى أنها ستكون لكم محرقة يا أيها الأعداء الجبناء فقدائفكم النارية القاتلة لن تفلح مع شعب يقاتل بقوة إرادته وعزيمته فنبلس كما يقولون عنها جبل النار لن تهزم وفلسطين بأسرها بعد اليوم لن ولن تهزم فوطن فيه مناضلة كالشهادة آيات الأخرس كيف له أن يموت وشعب منه سيخرج صلاح الدين ليعيد أمجاد الأمة كيف له أن يموت وتدعو أبناء فلسطين إلى الوحدة والتلاحم وأن يكونوا يدا واحدة في وجه المحتل الباغي.

خلاصة

- تحظى مدينة القدس بمكانة أدبية منذ القدم في تاريخ الأدب العربي فهي أيقونة مقدسة وذات مكانة دينية رفيعة فلا غرابة أن تحظى بهذه المكانة فقد تناولها الشعراء في العصر الإسلامي إلى يومنا هذا، ولكن ومع غياب الخطة الإستراتيجية العربية الأدبية للثقافة العربية أدى إلى تهميش ولو بسيط لمكانة القدس أدبيا، وكانت القصائد أعلاه قد أوضحت فرق وعمق الحروف التفصيلية لمدينة القدس التي تحدثت عن ألمها/ حزنها/ فرحها/ تاريخها/ تلك التفاصيل الصغيرة/ التي رسمها الشاعر العربي بأحاسيسه دون التكلف أو ذكر تاريخها ومكانتها الدينية بشكل مجرد، وهذا ما لمسناه من شعرائنا العرب الذين عاشوا ظروف الفلسطينيين ومكانة مدينته بقديستها التاريخية والحضارية والإنسانية ما زاد من رقي الحرف ليصبح في صف واحد في محاربة كيان فرض عليها واقع وجديد على الشعب العربي والفلسطيني الذي تعود قدسية جذع المدينة على مر العصور.

- تتوق النفس والروح لرؤية مسرى الرسول ومعراج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فلا غرابة أن تكون قصائد الشعراء كل حروفها تفيض شوقا وحبا لهذه المدينة المقدسة، فهي كذلك مهد الأديان السماوية الثلاثة فكما نلاحظ أن شعراء فلسطين والعرب متفقون على رواية جرح القدس وألمها، لكن الشاعر العربي تراه يكتب حزن المدينة كما يراه من بعيد؛ ربما من خلال شاشات التلفاز أو عن رواية شخص ما، علماً بأن الشاعر الفلسطيني هو أقرب للوجع وأقرب للحنين والهم الفلسطيني؛ فهو يعيش الواقع وظروف الاحتلال ويلمسها عن قرب وهذا ما لمسناه بحروف الشعراء هنا.

- ورغم أن الشاعر الفلسطيني يكتب عن جراح دولته المغتصبة التي يعتبر قلبها النابض قدس الأقداس، إلا أنه لم ينس يوما جراح المدن الأخرى كبيروت ودمشق وبغداد والقاهرة وعمان وفاس وتونس والجزائر الخ مثلا، والعكس صحيح؛ فإن الشاعر العربي يكتب عن بلده ولم ينس جراح القدس كمن يكتب عن بغداد ويزيد الجرح بكتابته عن مدينته الثانية القدس، فصارت القدس في وجدان الشاعر وفي خاطره وتعيش بين حروفه، ولكن الذي يكتوي بالنار ليس كمن يتحدث عنها، فالفلسطيني أقرب بحرفه لهذا الوجد، ونرى أيضا أن كافة الشعراء يرفضون المفاوضات مع المحتل ويذهب برأيه أن الحديث مع العدو مضيعة للوقت.

- وفي إشارة مشتركة في قصائدهم إلى محاولات التهويد والتزوير والتحريف التي يمارسها العدو ضد فلسطين وتاريخها وضد المدينة المقدسة أفرغم أن الشعراء يرون بأن المدينة تمر في مخاض عسير إلا أن كلا منهم له نظرة تفاؤلية بقرب النصر وقدوم فجر جديد لا محالة.

- إن أدب المقاومة أدب له تاريخ طويل بعمر الجهاد الفلسطيني والذي أوجده الظروف ونيران الحروب في أرض أولى القبلتين، والبعض أرخ هذا الأدب إلى عام 1948 إلا أنه يعود إلى أقدم من ذلك بكثير. حيث ولد من رحم الثورة في عهد الانتداب البريطاني عندما قامت ثورة البراق في العام 1929 وما تلاها من أحداث عظام في العام 1930. عندما غادر فلسطين ثلاثة شهداء (فؤاد حجازي، محمد جمجوم، وعطا الزير) وكانت نتاج هذا الحدث القصيدة الغنائية بداية هذا الأدب.

كانوا ثلاث رجال يتسابقوا الموت

أقدامهم عليت فوق رقبة الجلاد

وصاروا مثل يا خال

طول وعرض بلاد

من سجن عكا طلعت جنازة

محمد مجوم وفؤاد حجازي

- من جهة أخرى تناول العرب موضوع القدس في قصائدهم وتطور تناولها مع تطور الأحداث حيث تنوع التناول الشعري للمدينة مع تنوع الدوافع والتي ظهرت في النهج واللغة والأسلوب الذي يعبر عن القدس وقضيتها.

ولا بد من الكشف عن الجزء الهام الذي خرجنا به في دراستنا في المساهمة في سبر العلاقة التاريخية بين هذه البلاد وبين القدس والأقصى حيث القدسية الروحية قبل المقاومة وبعدها وما تحمله من دلالات قومية وأيدولوجية.